

ملخص البحث

هذا البحث يهدف إلى دراسة مجال دلالي من مجالات الحيوان الدلالية، ويضم الطيور البيئية والبرية، وموضوعاتها ورموزها، وصورها الفنية. ولذا فهو يقدم رؤية أدبية جمالية ذات بعد دلالي وموضوعي. وقد قام على ثلاثة محاور ومدخل يوضح مفهوم الحيوان ودلالاته.

يدرس المحور الأول مجالاً دلالياً فرعياً متعلقاً "بالطيور"، ويشتمل على أربع دوائر دلالية: الأليف من الطير، والصغير من الطير، والبري من الطير، والنعام، وما يتفرع عنها من دوائر دلالية فرعية حسب الوحدات الدلالية المتنوعة التي تُنظر إليها من الناحية اللغوية والدلالية، وأشار إلى ما استُخدم منها معادلاً موضوعياً فنياً دلالياً للتعبير عن معان عدة، وإلى ورودها وفق السياقات المعنوية المختلفة، وإلى ما تميّزت به بعض هذه الوحدات حسب دوائرها من ملامح دلالية أساسية وخاصة، وما اتصفت به من علاقات كعلاقة العموم بالخصوص أو الترادف أو التقابل، وما كان منها مشتركاً لفظياً. ويقوم هذا المحور على المنهج الإحصائي لمعرفة مدى شيوع بعض الوحدات الدلالية مقارنة بغيرها سواء في الدائرة الدلالية الواحدة، أو بين الدوائر، ولتفسيره وتوضيح مدى مطابقته لما عُرف عن طبيعة الحياة العربية القديمة.

ويتناول المحور الثاني موضوعات الطيور ورموزها، ويقف عند السياق الذي وردت فيه، وعلاقتها بموضوعات القصيدة من نعت الإبل

والخيل، والفخر ودواعيه، ومقدمة القصيدة وما تشمله من وصف الديار المهجورة والرحلة وطريقها، والنسيب، والرتاء والحنين إلى الأحبة، وبعض معتقدات العرب القدماء.

أما المحور الثالث فقد خُصص لصور الطيور الفنية القائمة على وسائل التصوير البياني، ولا سيما التشبيه الذي كانت الطيور طرفاً فيه، سواء أكان الطرف الأول/ المشبه، أو الطرف الثاني/ المشبه به، الذي نُظر إليه بوصفه معادلاً موضوعياً وفنياً للدلالة على المعاني المتعددة.

ولقد قام هذا البحث على النصوص الشعرية للمفضليات التي تبوّأت مكانة رفيعة بين كتب المنتخبات الشعرية نظراً لثروتها اللغوية، وما احتوته من ألفاظ مهجورة خلت منها المعاجم، ولرصدها جوانب مختلفة من الحياة العربية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام. وكان من البدهي الاستعانة بكتب المعاجم والمعاني وفقه اللغة، والكتب الأدبية النقدية، ولا سيما التي عالجت التصوير الفني.

مدخل إلى مفهوم الحيوان ودلالاته

الحيوان اسم يقع على كل شيء حيّ فيه روح، فهو يدلّ على جنس الحيّ، والجمع والواحد فيه سواء<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: التقفية في اللغة: لأبي بشر اليمان البنديجي، تح خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني ببغداد، ١٩٧٦، ٦٥٦، ومعجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨١، (حي).

الحيوان الدلالية على سبعة مجالات فرعية<sup>(٣)</sup>.  
المجال الأول: الإبل، والمجال الثاني: الخيل،  
والمجال الثالث: الأغنام والوعول والظباء،  
والمجال الرابع: البقر والحمير الأهلي والوحشي،  
والمجال الخامس: الحيوانات المفترسة، والمجال  
السادس: الطيور البيئية والبرية، والمجال  
السابع: الحشرات والهومم والزواحف.

#### المحور الأول: دلالات الطيور:

يشتمل هذا المجال الدلالي على الطير  
البيتي والبري، ويتوزع على أربع دوائر دلالية.  
تحتوي الدائرة الأولى على وحدات دلالية عامة  
تشير إلى الأليف من الطير، وتحتوي الدائرة  
الثانية على وحدات دلالية تشير إلى الصغير  
من الطير، وتحتوي الدائرة الثالثة على وحدات  
دلالية تشير إلى البري من سباع الطير، وأما  
الدائرة الرابعة فتحتوي على وحدات دلالية تشير  
إلى النعام.

الدائرة الدلالية الأولى: تحتوي هذه الدائرة  
على وحدات دلالية عامة تشير إلى الأليف من  
الطير، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية<sup>(٤)</sup>:

الْحَمَامَة: الطائر سواء أكان ذكراً أم أنثى  
مما له طوق، وجمعه حَمَامٍ وحمامات

<sup>(٣)</sup> اعتمدنا في تقسيم المجال الدلالي على ما ورد في  
كتاب: التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه): لكريم زكي  
حسام الدين، دار غريب بالقاهرة، ٢٠٠٠، ٣٤٣.

<sup>(٤)</sup> تم ترتيب ورود الوحدات بناء على الحرف الأول من  
كل وحدة، بإسقاط أَل التعريف إن وجدت، وبغض  
النظر عن جذرها اللغوي. وإن وردت أكثر من  
وحدة في الفقرة الواحدة، فتصدر الوحدة التي وردت  
أولاً في النص الشعري.

ويتوزع الحيوان على أربعة أنواع، شيء  
يمشي، وشيء يطير، وشيء يسبح، وشيء  
ينساح. إلا أن كل طائر يمشي، وليس الذي  
يمشي ولا يطير يُسمّى طائراً. والنوع الذي  
يمشي على أربعة أقسام: ناس، وبهائم، وسباع،  
وحشرات<sup>(٢)</sup>.

ويمكن للباحث أن يوزع أنواع الحيوان هذه  
على مجالين دلاليين كبيرين، المجال الأول:  
يتناول عالم الناس، وهو ما يمكن تسميته  
اصطلاحاً بعالم الإنسان، والمجال الثاني:  
يتناول عالم الإبل والخيل والبهائم، والسباع،  
والطيور والحشرات، وهو ما اصطلاحاً عليه  
باسم عالم الحيوان تمييزاً له من الأول. وبناء  
على ذلك يمكن للباحث أن يوزع مجالات

ولسان العرب: لابن منظور، دار صادر ببيروت،  
بلا تاريخ، (حيا)، والقاموس المحيط: للفيروزآبادي،  
دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٩٩١، (الحي).  
يذكر أننا سنعرّف المصادر والمراجع تعريفاً كاملاً  
عند الاقتباس للمرة الأولى، وسنكتفي بعد ذلك بذكر  
كلمة أو أكثر من العنوان، إضافة إلى اسم المؤلف  
مجرداً من اللقب. وجاء في هذه المصادر أن  
الحياة والحيوان والحي واحد، وأن الحيوان ماء في  
الجنة، واسم من أسماء العرب. وقالوا إن أصل لفظ  
الحيوان حَيَّان فقلبت الياء التي هي لام وواو  
استكراهاً لتوالي الياءين، وهناك من يرى أن الحيوان  
غير مبدل الواو فهي أصلية وإن لم يكن منه فعل.

<sup>(٢)</sup> الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح  
عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى  
البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٩٦٥،  
٢٧/١.

الذي تزينه فُرَشُ رسمت عليها صور: (فيها الدَّجَاجُ وفيها الأَسْدُ مُخْدِرَةٌ)<sup>(٨)</sup>.

الدَّيْكُ: ذكر الدَّجَاجِ، وجمعه القليل أدياك، والكثير دُيوكٍ ودَيْكَةٍ، وقد يطلق اللفظ على الدجاجة<sup>(٩)</sup>. ورد اللفظ في سياق وصف الديار التي حلت فيها الحبيبة، ومن جملة ما فيها (الدَيْكُ والفَيْلُ)<sup>(١٠)</sup>. ويُذكر أن لفظ (الديك) يرد غالباً في سياق تصوير إقبال الفتيان مبكرين إلى مجلس شراب الخمرة (إذا الدَيْكُ في جَوْشٍ مِنَ اللَّيْلِ طَرَبًا)<sup>(١١)</sup>.

الطَّيْرُ: جماعة ما يطير، والواحد طائر، والأنثى طائرة، وجمع الطير طُيور وأطيّار<sup>(١٢)</sup>. ورد اللفظ في سياق الحديث عن سرعة كتيبة وكثرة أفرادها، وسياق الفخر بقتل الفرسان الذين يتركون في ساحات القتال، يغطون في دمهم اللازق بأجسادهم، فتتبارى الطير لافتراسهم:

وَمُشْعَلَةٌ كَالطَّيْرِ نَهْنَهْتُ وَرَدَهَا  
وَقَرْنٍ تَرَكْتُ الطَّيْرَ تَحْجُلُ حَوْلَهُ

(٨) عبدة بن الطبيب: المفضليات ٧١/٢٦. مخدرة: في خدرها، وهو أجمتها.

(٩) ينظر: التلخيص ٣٩٥، واللسان، والقاموس (ديك).

(١٠) عبدة بن الطبيب: المفضليات ٢/٢٦.

(١١) ربيعة بن مقروم: المفضليات ١١/١١٣. جوش من الليل: قطعة من آخره. وينظر: عبدة بن الطبيب ٦٧/٢٦.

(١٢) ينظر: الصحاح واللسان (طير)، والتلخيص ٣٩٥، والقاموس (طيران)، وفي المقاييس (طير): "الطاء والياء والراء أصل واحد يدل على خفة الشيء في الهواء، ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة".

وحمائ<sup>(٥)</sup>. ورد اللفظ مفرداً وجمعاً في سياق الفخر بالغدو لصيد الطباء، وتشبيه الفرس بصقر يطارد حماماً يدخل لفرعه بين شجر العوسج:

فَكَأَنَّهِنَّ لَالِيٌّ وَكَأَنَّه  
صَفْرٌ يَلُودُ حَمَامُهُ بِالْعَوْسَجِ  
صَفْرٌ يَصِيدُ بِظَفْرِهِ وَجَنَاحِهِ  
فَإِذَا أَصَابَ حَمَامَةً لَمْ تَدْرُجْ<sup>(٦)</sup>

الدَّجَاجَةُ: طائر بيتي معروف، سميت

بذلك لإقبالها وإدبارها، ويقع على الذكر

والأنثى، والجمع دَجَاجٍ ودِجَاجٍ<sup>(٧)</sup>. ورد اللفظ

بصيغة الجمع في سياق تصوير مجلس الخمرة،

(٥) ينظر: الصحاح في اللغة: للجوهري، تح أحمد عطار، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٥٦. واللسان (حمم)، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء: لأبي هلال العسكري، تح عزة حسن، دار طلاس بدمشق، ١٩٩٦، ٣٩٥، وفقه اللغة وأسرار العربية: لأبي منصور عبد الملك الثعالبي، تح ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية ببيروت، ٢٠٠٠، ٤٤.

(٦) الحارث بن حلزة: المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦، ٥/٦٢ - ٦. وينظر لفظ (الحمام): متمم بن نويرة ٧/٦٨ في سياق الرثاء وتذكير هديله بالأحبة، بشر بن أبي خازم ٣٢/٩٧ في سياق تصوير سرعة الخيل الشبيهة بالحمام الذي يتسابق إلى الماء القليل.

(٧) ينظر: الصحاح واللسان (دجج). والدَّجَاجَةُ بفتح الدال وكسرها، والفتح أفصح. وقد دخلت الهاء اللفظ على أنه واحد من جنس، مثل حمامة، وأصله من قولهم: دَجَّ فلان في إثر فلان، إذا دبَّ في إثره.

ورد اللفظ في سياق الرثاء، ذلك أن نوح الحمام وهديله مما يهيج في النفس الذكرى: إذا رَقَاتْ عَيْنَايَ دَكَّرَنِي بِهِ حَمَامٌ تَنَادَى فِي الْعُصُونِ وَفُوعٌ دَعَوْنَ هَدِيلاً فَاحْتَزَنْتُ لِمَالِكٍ وَفِي الصَّدْرِ مِنْ وَجَدٍ عَلَيْهِ صُدُوعٌ<sup>(١٨)</sup> الْوَرَقَاءُ، سَاقِ حُرٍّ: الْوَرَقَاءُ الْحَمَامَةُ الَّتِي يَكُونُ لَوْنُهَا بَيْنَ السَّوَادِ وَالْغُبْرَةِ<sup>(١٩)</sup>.

أما تعبير (ساق حُرٍّ) فيطلق على الذكر من الحمام القماري، سُمي بصوته، ذلك أن صوته يقال له: ساق حر أيضاً<sup>(٢٠)</sup>.

ورد اللفظان في سياق الغزل والتعهد بعدم نسيان الحبيبة، (مَا غَدَتْ وَرَقَاءُ تَدْعُو سَاقِ حُرٍّ)<sup>(٢١)</sup>.

ويُستنتج مما سبق أن عدد الوحدات لهذه الدائرة الدلالية الأولى التي تشير إلى الأليف من الطير عامة كان قليلاً، فقد بلغ سبع وحدات، وأن وحدة الطير سجلت نسبة شيوع مرتفعة (٨ مرات)، وتليها وحدة الحمامة (٤ مرات)، ثم وحدة الديك (مرتين)، ثم الوحدات

واللسان (هدل)، والتلخيص ٣٩٥، والقاموس (الهديل).

<sup>(١٨)</sup> متمم بن نويرة: المفضليات ٧/٦٨ - ٨. رَقَاتْ: ذهب دمعها. احتزنت: افتعلت من الحزن.

الصدوع: الشقوق.

<sup>(١٩)</sup> اللسان والقاموس (ورق).

<sup>(٢٠)</sup> اللسان (سوق).

<sup>(٢١)</sup> المرار بن منقذ: المفضليات ١٦/٩٥.

إِذَا مَا الْجَبَانُ يَدْعِي وَهُوَ عَانِدٌ عَلَيْهِ نَجِيعٌ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ جَاسِدٌ<sup>(١٣)</sup> وكما ورد لفظ الطائر في سياق تصوير سرعة الخيل، وهذه فرس لا تجري على الأرض، (ولكنها تَهْفُو بِتَمَثَالِ طَائِرٍ)<sup>(١٤)</sup>، وفي سياق الفخر بمجالس الخمرة، وتقديمها (قَبْلَ لَعْوِ الطَّائِرِ)<sup>(١٥)</sup>، للدلالة على التكبير، وفي سياق الفخر بالعزيمة والشجاعة وعدم التطير عند لقاء الأعداء:

نَوْمُ الْبِلَادِ لِحُبِّ اللَّقَاءِ

وَلَا نَتَّقِي طَائِراً حَيْثُ طَارَا<sup>(١٦)</sup>

الهديل: ذكر الحمام، وقيل: هو فرخها، ويدل على صوت الحمام أيضاً<sup>(١٧)</sup>.

<sup>(١٣)</sup> ضمرة بن ضمرة: المفضليات ١/٩٣، ٨. المشغلة بفتح العين: الكتيبة تشعل للحرب، وبكسر العين: المنتشرة المتفرقة نهت: كفتت. الورد: القطيع من الجبش والطير. يدعي: ينتسب. العاند: المنحرف. القرن: الكفء في الشجاعة. النجيع: الشديد الحمرة. الجاسد: اللازق. وينظر لفظ (الطير) في سياقات مختلفة كتصوير الديار المهجورة وأوقات الجذب وإظهار السرعة، والفرع من الصواعق ومرافقة الطعان: المرقش الأكبر ١/٤٧، ٢٧/٥٤، علقمة بن عبدة ٣٧/١١٩، ٥/١٢٠، راشد بن شهاب ١٤/٨٦.

<sup>(١٤)</sup> سلمة بن الخرشب: المفضليات ٨/٥. تهفو: تسرع.

<sup>(١٥)</sup> ثعلبة بن صعير: المفضليات ١٧/٢٤.

<sup>(١٦)</sup> عوف بن عطية: المفضليات ٢٦/١٢٤. يقول: لا نبالي من أي النواحي جرت الطير، لأننا لا نتطير.

<sup>(١٧)</sup> ينظر: الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية، ١٤٤، ١٩٩٧، والصاح والمقاييس

المهجورة، أو الجديدة التي حلت بها الحبيبة، إضافة إلى موضوع عدم التطير.

الدائرة الدلالية الثانية: تحتوي هذه الدائرة على وحدات دلالية عامة تشير إلى الصغير من الطير، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية:

**الجُونِيّ:** ضرب من القطا، وهو ما كان أكرر الظهر أسود باطن الجناح، مصفّر الخلق قصير الرجلين، في ذنبه ريشتان، أطول من سائر الذنب، وهو أكبر من الكدري<sup>(٢٤)</sup>. ورد اللفظ بصيغة الجمع الجُون في سياق تصوير ناقة مسرعة على الرغم من تعبها، فهي تشبه (إحدى الجُون حَانَ وَرُودُهَا)<sup>(٢٥)</sup>، فهي عطشى تريد الماء، فلا تألو طيراناً .

**الخُبَارِيّ:** طائر معروف على شكل الأوزة، يدعى دجاجة البر، ويكون برأسه وبطنه غيرة، ولون ظهره وجناحيه كلون السماني غالباً، ويقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع، وألفه للتأنيث، والجمع حباريات وحباير<sup>(٢٦)</sup>. ورد

(٢٤) ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (جون).

(٢٥) المتقّب العبيدي: المفضليات ١١/٢٨.

(٢٦) ينظر: اللسان (حبر، خرب)، والقاموس (حبر). وفي التلخيص ٣٩٧: "الخُبَارِيّ والجمع خُبَارِيّات، ويقال للذكر منها الخَرْب، ولولدها إذا كان ذكراً النهار، فإذا كانت أنثى الليل". وفي المثل: أسلح من خُبَارِيّ، "لأنها ترمي الصقر بسُلحها إذا أراغها ليصيدها فتلوث ريشه بلثق سلحها، ويقال إن ذلك يشد على الصقر لمنعه إياه من الطيران". ينظر: اللسان (حباري). وينظر: المعاني الكبير في أبيات المعاني، لابن قتيبة، قراءة وضبط وشرح محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ٢٠١١،

الأخرى (مرة واحدة)<sup>(٢٢)</sup> لكل منها. اشتركت وحدات هذه الدائرة الدلالية في ملمح دلالي عام هو الطيران ووجود الجناحين والريش والألفة، وكان لكل وحدة ملمح دلالي خاص، فوحدة الحمامة والهديل بالصوت، ووحدة الديك بالذكورة، والدجاجة بالأنوثة، والورقاء باللون، وساق حر بالذكورة والصوت. وجاءت وحدة الطائر لتحمل ملمح الطير الأهلي والوحشي، لذا كانت أكثر شيوعاً. وتسجل هذه الوحدات علاقة التقابل بين الديك والدجاجة، وعلاقة العموم والخصوص<sup>(٢٣)</sup> بين وحدة الطير والوحدات الأخرى. وقد وردت هذه الوحدات في سياقات متعددة يأتي في مقدمتها نعت سرعة الفرس بالطير، وتصوير سرعة الجيش وغاراته وكثرة أفرادها، وتصوير مجالس الخمرة، فقد أصبح صوت الديك أو لغو الطائر معادلاً دلالياً للتعبير عن التكبير وبدء إقبال الفتيان على الخمرة، وكذلك موضوع الرثاء، فقد أصبح هديل الحمام معادلاً دلالياً لذكر الأحبة ومعاودة الحنين والشوق إليهم. ولقد جاءت وحدات الطير أيضاً في سياق تصوير الديار

(٢٢) هذا ما توصلت إليه دراسة أخرى. ينظر: التحليل الدلالي ٤٢٥.

(٢٣) تعرف هذه العلاقة بما يسمّى التضمين HYP·N·MY وهي تشتمل على ألفاظ ضامنة مثل حيوان طائر، وألفاظ متضمنة مثل حمام وعصفور وغراب وصقر ودجاج. ينظر: التحليل الدلالي ٣٠/١-٣١.

الغزل وتصوير رزاة الحسان في مشيتهن، فهن  
(يَتَرَاوِرْنَ كَنَقَطَاءِ الْقَطَا) (٣٣).

الْكُدْرِيُّ: ضرب من القَطَا، يكون في لونه  
غبرة، وجمعه الكُدْرُ (٣٤). ورد اللفظ بصيغة  
الجمع في سياق تصوير فرسان القوم على خيل  
مسرعة، تهوي بهم ليلاً (كَهْوِيَّ الْكُدْرِ  
صَبَّحْنَ الشَّرْعَ) (٣٥).

يَعْقُوبُ: الذكر من الحَجَلِ والقَطَا، وجمعه  
يعاقيب (٣٦). ورد اللفظ بصيغة الجمع يعاقيب  
في سياق تصوير مضي الشباب الذي أصبح  
مطلباً لشيبهه، والتعبير عن الأسف لعدم التمكن  
من اللحاق به وإدراكه، حتى ولو اقتضى  
الركض مثل ركض اليعاقيب السريعة:  
وَلَى حَثِيثًا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ  
لو كان يُدْرِكُهُ رَكْضُ الِيعَاقِيبِ (٣٧)

(٣٣) المرار بن منقذ: المفضليات ٦٠/١٦. نطاء: من  
القطو، وهو تقارب الخطو. وتتنظر صيغة الجمع  
(القطا) في سياقات مختلفة، وفي مقدمتها تصوير  
الأماكن والطرق، حيث يحفر القطا ليضع بيضه:  
الحادة ٣٠/٨، المخبل السعدي ٢٣/٢١، عبدة بن  
الطيب ١٤/٢٦، وكذلك تصوير كثرة جماعة  
الخيول وسرعة الورود: ربيعة بن مقروم ٨/١١٣،  
حاجب بن حبيب ٧/١١٠.

(٣٤) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان (كدر).  
(٣٥) سويد بن أبي كاهل: المفضليات ٢٨/٤٠. صبجن:  
وأفين في الصبح. الشرع: الماء والشرب جميعاً.  
(٣٦) ينظر: الغريب ١٤٤، والصحاح واللسان (عقب،  
قبح). والحَجَلُ: الذكور من القَبَجِ، الواحدة حَجَلَةٌ،  
وججَلان وججلى اسم للجمع، والقَبَجُ: الكروان.  
(٣٧) سلامة بن جندل: المفضليات ٢/٢٢. حثيثاً:  
سريعاً.

اللفظ في سياق التهكم بسبب الفرار من القتال،  
لأن الحباري يسلح حين الخوف:

وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارِي  
رَأْتُ صَفْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ (٢٧)  
العصفور: طائر صغير، والأنثى عصفورة (٢٨).  
ورد بصيغة الجمع عسافر في سياق الفخر  
بارتياد مكان بعيد كثير الكلا قبل (أَنْ تَلْعَى  
عسافِرُهُ) (٢٩).

القَطَاة: طائر معروف سمي بذلك لثقل  
مشيه، وجمعه قَطَا وقَطَوَاتٍ وقَطِيَّاتٍ (٣٠). ورد  
اللفظ في سياق النسب والتصوير ما يصيب  
رأس الإنسان من صلح: (رَأْتَنِي كَأَفْحُوصِ  
القَطَاةِ ذُوَابَتِي) (٣١)، وكذلك ورد الجمع القَطَا  
في سياق تصوير الديار القفرة البعيدة التي  
(يَحَارُ بِهَا القَطَا) (٣٢) على الرغم من أن المثل  
يضرب به في المعرفة والهداية، وفي سياق

٢٢١/١، وفيه: "عند ذلك تجتمع الحباريات عليه،  
فينتن ريشه كله، وفي ذلك هلاكه".

(٢٧) أوس بن غلفاء: المفضليات ١٠/١١٨. وينظر:  
(فرخ الحباري): متمم بن نويرة ١٤/٦٧ في ذكر  
ولد فقير جائع.

(٢٨) ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (عصفور).

(٢٩) عبد المسيح بن عسلة: المفضليات ٣/٧٣.

(٣٠) ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (قطا). وجاء أن  
القطا ثلاثة أنواع: كُدْرِيٌّ، وجُونِيٌّ وعَطَاطُ. ينظر:  
الصحاح واللسان (كدر).

(٣١) بشر بن أبي خازم: المفضليات ٧/٩٦. الأفحوص:  
حفرة تحفرها القطة لتبيض وترقد فيها، ويريد أنه  
صلح حتى صار رأسه كالأفحوص.

(٣٢) عميرة بن جعل: المفضليات ٤/٦٤.

أعدائهم، واليعقوب للتعبير عن سرعة الشيب وملاحقته الشباب.

الدائرة الدلالية الثالثة: تحتوي هذه الدائرة على كلمات دالة على البري من سباع الطير، وتتنوع على دائرتين فرعيتين:

أ \_ الدائرة الدلالية الفرعية الأولى تحتوي على وحدات دلالية تشير إلى ذوات المخالب والمهاب من الطيور الجوارح، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية:

الأجادل: جمع الأجدل، وهو الصَّقر، سُمِّي بذلك لقوته، وأصل اللفظ من الجَدَل الذي هو الشدة<sup>(٣٨)</sup>، وورد في سياق تصوير الخيل المسرعة، فهي تهوي (هَوِيَّ قَطَاةً أَتْبَعَتْهَا الْأَجَادِلُ)<sup>(٣٩)</sup>

البَازي: ضرب من الصقور التي تصيد، وجمعه بواز وبُزاة وأبواز وبِيزان<sup>(٤٠)</sup>.

ورد اللفظ في سياق الفخر بركوب الخيل ابتغاء الصيد (ببَازٍ مُنْكَدِرٍ)<sup>(٤١)</sup>.

الصَّقر: لفظ يدل على ما يُصَاد به من البُزاة والشواهين، وسُمِّي به لأنه يصقر الصيد

<sup>(٣٨)</sup> ينظر: المقاييس واللسان (جدل). وقد جعل سيبويه اللفظ مما يكون صفة في بعض الكلام، واسماً في بعض اللغات، فإذا جعلت الأجدل نعتاً قلت صقر أجدل وصقور جُدل، وإذا تركته اسماً للصقر قلت هذا الأجدل، وهي الأجادل.

<sup>(٣٩)</sup> المزرد بن ضرار: المفضليات ٣٣/١٧.

<sup>(٤٠)</sup> ينظر: اللسان (بزا)، والقاموس (البازي).

<sup>(٤١)</sup> المرار بن منقذ: المفضليات ٢٣/١٦. المنكدر: المنقض. وينظر اللفظ في سياق مماثل: المزرد بن ضرار ١٨/١٧.

ويُستنتج مما سبق أن عدد الوحدات لهذه الدائرة الدلالية الثانية التي تشير إلى الصغير من الطير عامة كان قليلاً أيضاً، فقد بلغ ست وحدات، وأن وحدة القطاة سجلت نسبة شيوخ مرتفعة (٨ مرات)، إضافة إلى وحدات الجوني والكدي واليعقوب (لكل وحدة مرة واحدة) التي تشير أيضاً إلى ضروب من القطا. ثم تأتي وحدة الحباري (مرتين)، ووحدة العصفور (مرة واحدة).

وتتشارك وحدات هذه الدائرة الدلالية في ملمح دلالي عام هو الصغر، وتتميز كل وحدة بملمح دلالي خاص، فوحدة العصفور بالصغر للغاية، والحباري بشكل الإوزة والغبرة في الرأس والبطن، والجوني بلون الظهر الأكدر وسواد باطن الجناح، وكبير الحجم مقارنة بالكدي المتميز بلون الغبرة، واليعقوب بالذكورة. أما القطاة فتتميز بنقل المشي. وتسجل بعض هذه الوحدات علاقة التقابل بين العصفور والقطاة، وعلاقة العموم والخصوص بين وحدة القطا والجوني والكدي. ولقد وردت هذه الوحدات في سياقات متعددة كالنسيب والغزل والحديث عن الشيب، وتصوير سرعة الإبل والفرسان وهم على خيولهم، وتصوير الأماكن المقفرة البعيدة التي يحار فيها القطا. ولقد أصبحت بعض هذه الوحدات معادلاً دلالياً كوحدة الحباري للتعبير عن الخوف والجبن، والقطاة للتعبير عن المشي الوثيد للحسان، وللتعبير عما يصيب الإنسان من صلح، ولإظهار المعرفة والهداية، والجوني للتعبير عن السرعة في ورود المياه، والكدي للتعبير عن سرعة انقضااض الفرسان على

لونها<sup>(٤٦)</sup>. أما لفظ سفعاء فيطلق على عقاب يغلب على لونها السواد المشرب حمرة، يقال للذكر أسفع وللأنثى سفعاء<sup>(٤٧)</sup>، ويُعد من المشترك اللفظي<sup>(٤٨)</sup>، ذلك أنه يوصف بهذا اللون الصقر والحمار الوحشي والظليم والحمامة والمرأة الشاحبة. وردت هذه الألفاظ في سياق الاعتراف بالفرار من القتال والتشبه بعقاب يريد الانقضاض على الصيد بسرعة:

نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ  
كَأَنَّيْ عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرٍ  
خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَدَ رِيْشَهَا  
مِنَ الطَّلِّ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيْبٍ مَاطِرٍ<sup>(٤٩)</sup>  
فَتَحَاءَ: عُقَابٌ لِيْنَةُ الْجَنَاحِ تَقْلِبُهُ كَيْفَ  
شَاءَتْ، لِأَنَّهَا إِذَا انْحَطَّتْ كَسَرَتْ جَنَاحِيْهَا

(٤٦) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان والقاموس (خدر). وأصل الخدري أن الليل المظلم يخدر الناس، أي يلبسهم.

(٤٧) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان والقاموس (سفع).

(٤٨) المشترك اللفظي POLYSEMY: ظاهرة لغوية تقوم على تعدد دلالات أو معاني اللفظ الواحد، ويُترك للسياق تحديد كل معنى من هذه المعاني المتعددة للكلمة الواحدة. ينظر: التحليل الدلالي ٢٣/١.

(٤٩) الحارث بن وعلة: المفضليات ٢/٣٢ - ٣. تيمن: موضع باليمن. الأهاضيب: جمع أهضوية، وهي المطرة العظيمة. وينظر لفظ (عقاب): سلمة بن الخرشب ١٣/٦، بشر بن أبي خازم ٤٥/٩٨ في سياق وصف الفرس المسرعة التي تقصد صيدها، المسيب بن علس ٢٤/١١ في سياق سرعة الأخذ والانقضاض.

صقراً بقوة، وجمعه صُقور، ويقال له الأجدل<sup>(٤٢)</sup>. ورد اللفظ في سياق المديح بإظهار فروسية أحد الأبطال الذي كان على رأس جيشه، والذي كان ينقض على خصومه (مثل الصَّفْرِ)<sup>(٤٣)</sup>.

عُقَابٌ، كَاسِرٌ، خُدَارِيَّةٌ، سَفْعَاءُ: العُقَابُ طَائِرٌ مِنْ عِتَاقِ الطَّيْرِ وَجَوَارِحِهَا، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِشِدَّتِهَا وَقُوَّتِهَا، وَهُوَ يَقَعُ عَلَى الْمَذَكَّرِ وَالْأُنْثَى، إِلَّا أَنْ يُقَالَ هَذَا عُقَابٌ ذَكَرٌ، وَجَمْعُهُ أَعْقُبٌ وَأَعْقِبَةٌ وَعِقْبَانٌ وَعِقَابِيْنَ جَمْعُ الْجَمْعِ<sup>(٤٤)</sup>. وَالكَاسِرُ طَائِرُ الْعُقَابِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: كَسَرَ الطَّيْرُ يَكْسِرُ كَسْرًا وَكُسُورًا، أَي ضَمَّ جَنَاحِيْهِ حَتَّى يَنْقُضَ يَرِيدُ الْوُقُوعَ عَلَى الْوَيْدِ<sup>(٤٥)</sup>. وَالخُدَارِيَّةُ العُقَابُ لِشِدَّةِ سَوَادِ

(٤٢) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان والقاموس (صقر)، والتلخيص ٣٩٧.

(٤٣) المرقش الأكبر ٢٢/٥٤. وينظر اللفظ في سياق موضوع الصيد والفروسية: الحارث بن حلزة ٥/٦٢ - ٦، أوس بن غفاء ١٠/١١٨.

(٤٤) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان (عقب)، والتلخيص ٣٩٦، والتقفية ١٧٨. وزيد أن العُقَابُ رَايَةٌ شُبِّهَتْ بِالْعُقَابِ، وَأَنَّ هُنَاكَ مِنْ يَنْسَبُ هَذِهِ الرَّايَةَ إِلَى الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي النَّاقَةَ السَّوْدَاءَ عُقَابًا عَلَى التَّشْبِيهِ. وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ (العُقَابِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى رَايَةِ بَعْضِهِمْ: بشر بن أبي خازم ١٥/٩٩.

(٤٥) ينظر: المقاييس واللسان والقاموس (كسر)، والتلخيص ٣٩٦.



سياق الحديث عن استحالة الخلود ليس للإنسان فحسب، وإنما أيضاً لهذا الوعل الأعصم الذي اعتاد الصعود إلى أعالي الجبال، حتى إن الرخمة التي لا تبيض إلا في أبعد ما يقدر عليه من الأمكنة تقصر عن بلوغ قمم هذه الأعالي:

مِنْ دُونِهِ بَيِّضُ الْأَنْثُوقِ وَقَوْ

قَهُ طَوِيلُ الْمَنْكَبَيْنِ أَشْمٌ<sup>(٥٥)</sup>

البُوم: طائر ذكر الهَام، واحدته بومة، وجمعه أبوام، وقيل: إن البوم والبومة طائر يقع على الذكر والأنثى، وإن الصدى والقياد مخصصان بالذكر<sup>(٥٦)</sup>. ورد اللفظ في سياق

الحديث عن قطع الفيافي التي يُسمع فيها صياح البوم وكأنه ضرب النواقيس:

وَتَسْمَعُ تَرْقَاءَ مَنْ الْبُومِ حَوْلَنَا

كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِيسُ<sup>(٥٧)</sup>

الصَّدى: الذكر من البوم، وهو "هذا الطائر الذي يَصِرُّ بالليل ويقفز قفزاً ويطير، والناس

وغمرتهما، وهذا لا يكون إلا من اللين<sup>(٥٠)</sup>. ورد اللفظ في سياق تصوير فرار فارس على فرس سريعة شبيهة بمثل هذه الفتحاء، التي هطل عليها مطر فهي تسرع إلى وكرها:

خُدَارِيَّةٌ فَتَحَاءَ أَلْتَقَ رِيَشَهَا

سَحَابَةٌ يَوْمٍ ذِي أَهَاضِيْبٍ مَاطِرٍ<sup>(٥١)</sup>

القَطَامِي: لفظ يدل على الصقر، وقد غلب عليه اسم<sup>(٥٢)</sup>، وورد في سياق الفخر بالصعود على الجبل لمراقبة الأعداء وتحركاتهم بنظر حاد (كما أَوْفَى القَطَامِي مَرْقَبًا)<sup>(٥٣)</sup> في صيده.

ب \_ الدائرة الدلالية الفرعية الثانية تحتوي على وحدات دلالية تشير إلى ذوات الأظافر والمكروه من الطيور الجارحة، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية:

الأَنْثُوق: لفظ يطلق على طائر الرَّخْمَة، وقيل: ذكر الرَّخْم، وعلى العُقاب أو طائر أسود أصلع الرأس أصفر المنقار<sup>(٥٤)</sup>. ورد اللفظ في

في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة والبعيدة، وهي تحمق لذلك، وهذا المثل يضرب للذي يطلب المحال الممتع، وللشيء الذي لا يوجد. ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥، ٤٩٤.

<sup>(٥٥)</sup> المرقش الأكبر: المفضليات ١٢/٥٤. دونه: يريد الوعل. طويل المكنبين: يريد جبلاً. أشم: مرتفع.

<sup>(٥٦)</sup> ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان والقاموس (بوم)، والتلخيص ٣٩٩.

<sup>(٥٧)</sup> المرقش الأكبر: المفضليات ٩/٤٧. وينظر: علقمة بن عبدة ١٦/١٢٠، الأسود بن يعفر ١١/١٢٥.

<sup>(٥٠)</sup> ينظر: الغريب ١٤٧، والتلخيص ٣٩٦، واللسان (فتح، عجلز)، والقاموس (الفتحة).

<sup>(٥١)</sup> سلمة بن الخرشب: المفضليات ٩/٥. ألتق: من اللتق، وقد ألتقه المطر، إذا بله.

<sup>(٥٢)</sup> ينظر: المقاييس (أمل)، واللسان (قطم). واللفظ من القَطْم، بفتح القاف وضمها، وهو المشتهي اللحم وغيره.

<sup>(٥٣)</sup> ربيعة بن مقروم: المفضليات ١٥/١١٣. المرقب: الموضع الذي يرقب عليه الصيد.

<sup>(٥٤)</sup> ينظر: المقاييس واللسان والقاموس (أنق)، والتلخيص ٣٩٦. وجاء في المثل: أعز من بيض الأنثوق، لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به، لأن أوكارها

اللفظ في سياق الحديث عن الشيب والشباب،  
وربط سواد الشعر بالغراب:

فإن يُطْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَقَدْ تُرَى  
به لِمَتِّي لم يُرَمَ عَنْهَا غُرَابُهَا<sup>(٦٣)</sup>

النَّسْر، القَشَعَم: النَّسْر طائر قيل: إنه من  
العقاق، وأنه لا مخلب له، وإنما له الظفر كظفر  
الدَّجاجة والغراب والرَّخمة، وسُمِّي بذلك لأنه  
يُنْسِر الشيء ويقتنصه، وجمعه أنسر في العدد  
القليل، ونُسر في الكثير<sup>(٦٤)</sup>.

وأما القشعم فهو المسن من النسور والرخم  
لطول العمر<sup>(٦٥)</sup>.

ورد اللفظان في سياق الفخر بالانتصار على  
العدو وما خلف ذلك من كثرة القتلى بحيث إن  
الضباع والنسور قد شبعت:

لَعَمْرِي لِأَشْبَعْنَا ضِبَاعَ عَنَابِزَةٍ  
إلى الحَوْلِ مِنْهَا والنُّسُورَ القَشَاعِمَا<sup>(٦٦)</sup>

يرونه الجُنْدب، وإنما هو الصدى، فأما الجُنْدب  
فهو أصغر من الصدى<sup>(٥٨)</sup>.

ورد اللفظ بصيغة الجمع الأصداء في سياق  
الفخر والحديث عن الرحلة إلى الممدوح:

في مَهْمَه قُدْفٍ يُحْشَى الهَلَاكُ بِهِ  
أصداؤُهُ ما تَنِي بالليلِ تَغْرِيدَا<sup>(٥٩)</sup>

الصُّوع: طائر من طير الليل كالهامة إذا  
أحس بالصباح صدح، وقيل: هو الكروان وذكر  
اليوم، وقيل: إنه أصغر من العصفور لأنه  
يضع بيضه في موضع لا يدري أين هو،  
والجمع ضيعان<sup>(٦٠)</sup>.

ورد اللفظ في سياق التعريض بخصم لا  
يملك إلا الحسد والسياح، (فهو يَزُقُّو مِثْلَ  
ما يَزُقُّو الصُّوعِ)<sup>(٦١)</sup>.

الغُرَاب: طائر أسود، وجمعه أغربة وأغرب  
وغربان وغرب، وجمع الجمع غرابين<sup>(٦٢)</sup>. ورد

<sup>(٥٨)</sup> الصحاح (صدى). وينظر: الغريب ١٤٩، واللسان  
والقاموس (صدى).

<sup>(٥٩)</sup> ربيعة بن مقروم: المفضليات ٧/٤٣. المهمه:  
الفقر. القذف، بضمّتين وفتحّتين: البعيدة. ما تني:  
ما تقصر. التغريد: تمديد الصوت. وينظر: الأسود  
بن يعفر ١١/١٢٥ في سياق مماثل وارتباط اللفظ  
بالفقار.

<sup>(٦٠)</sup> ينظر: التلخيص ٣٩٩، واللسان (ضوع). والصُّوع  
بضم الضاد وكسرهما.

<sup>(٦١)</sup> سويد بن أبي كاهل: المفضليات ٧٢/٤٠. يزقو:  
يصيح.

<sup>(٦٢)</sup> ينظر: التلخيص ٣٩٦، واللسان والقاموس (غرب).  
وقد أطلق لفظ (الغراب) اسماً على فرس على  
التشبيه.

<sup>(٦٣)</sup> المرقش الأكبر: المفضليات ٣/٥٣. وينظر: متمم  
بن نويرة ٧/٩ في سياق الحديث عن ناقته ذات  
السنام الممتلئ والأملس بحيث لا يقدر الغراب أن  
يقع عليه، وبصيغة الجمع (الغربان): علقمة بن  
عبدة ٣٧/١٢٠ في تقرير أن زجر الطير من  
الغربان لا بد أن يصيب بالشؤم.

<sup>(٦٤)</sup> ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (نسر). وفي  
المقاييس (غرب): "النون والسين والراء أصل  
صحيح يدل على اختلاس واستلاب منه".

<sup>(٦٥)</sup> ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (قشعم). وورد  
أيضاً أن القشعم اسم من أسماء الأسد، فهو من  
المشترك اللفظي، وأم قشعم: الحرب والمنية والداهية  
والضبع والعنكبوت وقرية النمل والدّلة، .

ويُستنتج مما سبق أن عدد الوحدات لهاتين الدائرتين الدلالتين اللتين تنتميان إلى الدائرة الدلالية الثالثة التي تشير إلى البري من سباع الطير بلغ خمس عشرة وحدة، وكان لذوات المخالب والمهاب من الطيور الجوارح ثماني وحدات، ولذوات الأظافر والمكروه من الطيور الجارحة سبع وحدات، وأن وحدة العقاب سجلت نسبة شيوع مرتفعة (٤ مرات)، ما عدا الوحدات التي تشير إلى صفاتها، ثم تأتي وحدة الصقر (٣ مرات) ما عدا الوحدات التي تشير إليه أيضاً، وكذلك الغراب (٣ مرات).

وتأتي وحدات البازي والخدارية والصدى والنسر (مرتين)، أما باقي الوحدات: الكاسر والسفعاء والقطامي والأنوق والضوع والقشعم فتعد (مرة واحدة) لكل منها.

وتتشارك وحدات الدائرة الدلالية الفرعية الأولى في ملمح دلالي عام هو وجود المخالب والافتراس، وتتميز كل وحدة بملمح دلالي خاص، فالصقر بالصيد والقوة، وكذلك البازي والأجادل، والقطامي بشهوة اللحم.

ولقد شغلت وحدة العقاب وما يتصل بها حيزاً كبيراً في هذه الدائرة كالكاسر والخدارية والفتحاء والسفعاء، فالعقاب شبيه بالصقر فهو من العتاق الجوارح، والكاسر يتميز بضم الجناحين وقت الانقضاض، والخدارية باللون الأسود، والسفعاء باللون الأسود المشرب حمرة، والفتحاء بلبين

الجناح. وتميزت هذه الوحدات الدلالية بمعاني السرعة وقت الانقضاض على الخصوم، أو السرعة في الفرار على فرس سريعة، وقد جاءت وحدة القطامي لتكون معادلاً دلالياً للتعبير عن حدة النظر والدقة في مراقبة الأعداء. وتشارك وحدات الدائرة الدلالية الفرعية الثانية في ملمح دلالي عام هو الأظافر والكراهية، وتتميز كل وحدة بملمح دلالي خاص، فالنسر بالظفر والقنص، والقشعم بالعمر الطويل، والغراب بالتشاؤم، والضوع بالصياح، والغراب بالتشاؤم إضافة إلى الوحشة، والبوم والصدى بالوحشة والاقفرار إضافة إلى الصياح. وتسجل وحدات هذه الدائرة الدلالية الثالثة بعض العلاقات كعلاقة العموم والخصوص بين وحدة الصقر والوحدات الأجدل والبازي والقطامي، ووحدة العقاب ووحدات الخدارية والسفعاء والفتحاء، وبين وحدتي البوم والصدى، ووحدتي النسر والقشعم. وارتبطت هذه الوحدات في سياقات متعددة كالرحلة وقطع الفيافي وتصوير قتلى المعارك، وسياق الحديث عن الشيب والشباب، وتشبيه سواد الشعر بالغراب الذي أصبح معادلاً دلالياً للتعبير عن السواد. ومن الوحدات التي أصبحت معادلاً دلالياً وحدة الضوع للتعبير عن الصياح دون الفعل.

الدائرة الدلالية الرابعة: تحتوي هذه الدائرة على وحدات دلالية تشير إلى النعام، وهو طائر يجمع بين صفات الطير والحيوان، فله من الطير الجناح والريش والمنقار، وله من الحيوان،

(١٦) عبد المسيح بن عسلة: المفضليات ٣/٨٣. عنيزة: موضع. وينظر لفظ (النسر): رجل من عبد قيس ٧/١٣ في سياق تشبيهه سنان الرمح بخرطومه.

كما ورد لفظ النَّعَامِ في سياق الحديث عن فرار مقاتلين وسرعة هروبهم، وكأنهم (نَعَامٌ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرٌ)<sup>(٧١)</sup>. وقد ارتبط لفظ (النعام/النعام) بالدلالة على التفرق والاختلاف والخفة وسرعة الذهاب والهرب، مما جسده أمثال العرب وأقوالهم، وما تضمنته أشعارهم كقول ذي الإصبع يأسف لما حدث بينه وبين ابن عم له: (أَزْرَى بِنَا أَنْنَا شَأَلَتْ نَعَامَتُنَا)<sup>(٧٢)</sup>، وقول أوس بن غلفاء يتهمك من هزيمة أحدهم: (وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامِ).<sup>(٧٣)</sup>

الجِسْكَالُ، الصَّعْلُ، الهَيْقَلُ: الجِسْكَالُ الصغير من كل شيء، وخص به بعضهم ولد النعام أول ما يولد، وعليه زَعْبُهُ، والواحدة جِسْكَالَةٌ، والجمع حساكل<sup>(٧٤)</sup>. والصَّعْلُ صغير الرأس دقيقه من الرجال والنعام والنخل<sup>(٧٥)</sup>،

واحدها قَتْدٌ. وينظر لفظ (النعام): ذو الإصبع ٢/٣١ .

(٧١) الحارث بن ولة: المفضليات ٤/٣٢. متواتر: متتابع العَدْوُ، وهو صفة للنعام. وينظر لفظ (النعام): الأخنس بن شهاب ٣/٤١ في سياق تصوير المنازل المهجورة، عبدة بن الطبيب ٥٩/٢٦، المرار بن منقذ ١٢/١٦ في سياق الصيد والخروج إلى الأماكن البعيدة، الحارث بن حلزة ٩/٦٢ في سياق تصوير النوق وسرعة العودة من المرعى للبرد والجذب.

(٧٢) المفضليات ٢/٣١. أزرى به: قصر به، وزرى عليه: عابه.

(٧٣) المفضليات ١٠/١١٨.

(٧٤) ينظر: الصحاح واللسان (حسكل).

(٧٥) ينظر: الصحاح واللسان (صعل)، والقاموس (الصَّعْلَةُ)، والتلخيص ٣٨١.

ولا سيما من الإبل الرأس وطول العنق والخف. وتتوزع هذه الوحدات على ثلاث دوائر فرعية:

أ \_ الدائرة الدلالية الفرعية الأولى تحتوي على وحدات دلالية عامة تشير إلى النعام، وتمثلها الوحدة الدلالية التالية:

الخِيْطَانُ: لفظ يدل على جماعة النعام، مفرده الخِيْطُ بكسر الخاء وفتحها<sup>(٦٧)</sup>، وهو من المشترك اللفظي، لأنه يدل على جماعة البقر، والقطعة من الجراد أيضاً، وقد ورد للدلالة على النعام في سياق وصف مكان صيد كثير الكلاء، (كَأَنَّ أَطْفَالَ خِيْطَانِ النَّعَامِ بِهِمْ)<sup>(٦٨)</sup>.

ب \_ الدائرة الدلالية الفرعية الثانية تحتوي على وحدات دلالية تشير إلى جنس النعام ومراحل عمره، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية:

النَّعَامَةُ: لفظ يقع على المذكر والمؤنث، والجمع نعامات ونعائم، أما النَّعَامُ فهو اسم جنس، مثل حمام وحمامة<sup>(٦٩)</sup>. وقد ورد اللفظ في سياق الحديث عن الرحلة وتشبيه الناقة بالنعام السريعة :

فَبِتُّ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي

وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفْنَتِي وَقُتُوْدُهَا<sup>(٧٠)</sup>

(٦٧) ينظر: اللسان والقاموس (خيطة). ويقال: نعامة خيطاء، إذا كانت طويلة العنق.

(٦٨) عبدة بن الطبيب: المفضليات ٥٩/٢٦. البهم: أولاد الغنم.

(٦٩) ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان (نعم)، والتلخيص ٣٨١.

(٧٠) المثقب العبدى: المفضليات ٧/٢٨. الصُّفْنُ: شيء من جلد لأهل البادية كالسفرة، يجعلون فيه زادهم، وربما استقوا فيه الماء. القُتُودُ: خشب الرحل،

وغير ذلك. أما الهِقل فهو الغتِي من النعام<sup>(٧٦)</sup>. وردت هذه الألفاظ لتدل على نعام يأوي إلى فراخه: (يَأْوِي إِلَى حِسْكِ زُعْرٍ حَوَاصِلُهُ/ صَعْلٌ/ تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِعَةٌ)<sup>(٧٧)</sup>.

الحَقَّان، الحَوْل: الحَقَّان أولاد النِّعَام وفراخه<sup>(٧٨)</sup>، والواحدة حَقَّانة، الذكر والأنثى فيه سواء. أما لفظ الحَوْل، ومفرده حائل، فيطلق على التي لا تحمل من النوق وغيرها، وجاء للدلالة على النعام لبيان أنها لا تبيض<sup>(٧٩)</sup>. وقد ورد اللفظان بالاقتران بلفظ النعام في سياق الفخر بالخروج للصيد في مكان بعيد أصابه مطر فكثر فيه الكلال:

وَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ صَوْتًا فَيُفْرِعَهَا

أَوَابِدُ الرُّبْدِ وَالْعَيْنُ الْمَطَافِلُ

كَأَنَّ أَطْفَالَ خَيْطَانِ النَّعَامِ بِهِ  
بَهْمٌ مُخَالِطُهُ الْحَقَّانُ وَالْحَوْلُ<sup>(٨٠)</sup>  
الظَّلِيم: الذكر من النعام، وجمعه أَظْلَمَة  
وظُلْمَان وظُلْمَان<sup>(٨١)</sup>.

ورد اللفظ في سياق الحديث عن الرحلة على ناقة شبهها بظليم نافر مسرع يحرك جناحيه:  
وَكَأَنَّ عَيْبَتَهَا وَفُضْلَ فِتَانِهَا  
فَنَنَانٍ مِنْ كَنَفِي ظَلِيمٍ نَافِرٍ<sup>(٨٢)</sup>

ج \_ الدائرة الدلالية الفرعية الثالثة تحتوي على وحدات دلالية تشير إلى هيئة النعام وشكله ولونه وصفته، وتمثلها الوحدات الدلالية التالية:  
خَاضِب، شَقَاء، غَيْهَب: الخَاضِب ظليم يأكل عشب الربيع فيحمر أطراف ريشه، أو الذي اغتم فاحمرت ساقاه، وهذا الوصف خاص بالذكر<sup>(٨٣)</sup>. ويطلق لفظ شَقَاء على فرس طويلة في الأصل، وجاء للدلالة على النعامة

<sup>(٧٦)</sup> ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان والقاموس (هقل)، والتلخيص ٣٨١.

<sup>(٧٧)</sup> علقمة بن عبدة: المفضليات ٢٥/١٢٠، ٢٩ - ٣٠. السطعاء: الطويلة العنق. الخاضعة: التي تميل رأسها للرعي. وينظر لفظ (الصعل): مزرد بن ضرار ٥/١٥ في سياق وصف منازل خلت من أهلها، فسكنها الوحش.

<sup>(٧٨)</sup> ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (حقف)، وقيل: أصل الحَقَّان صغار النِّعَام، ثم استعمل في صغار كل جنس.

<sup>(٧٩)</sup> جاء في اللسان (حال): حالت الناقة والفرس والنخلة والمرأة وغيرهن إذا لم تحمل، والحَوْل الحِيَال، يقال: ناقة حائل ونوق حِيَال وحَوْل.

<sup>(٨٠)</sup> عبدة بن الطبيب: المفضليات ٥٨/٢٦ - ٥٩. الأوابد: الوحوش تسكن البيداء. الريد: النعام. العين: البقر. المطافيل: التي معها أولادها. الخَيْطَان: جمع خَيْط، وهو جماعة النعام. البهم: أولاد الغنم.

<sup>(٨١)</sup> ينظر: الصحاح واللسان (ظلم)، والتلخيص ٣٨١. <sup>(٨٢)</sup> ثعلبة بن صُعَيْر: المفضليات ٩/٢٤. العيبة: وعاء من جلد يكون فيه المتاع. الفِتان: غشاء للرجل من جلد. الفنن: الغصن. كنف الظليم: جانباه، وأراد جناحيه.

<sup>(٨٣)</sup> ينظر: الصحاح واللسان والقاموس (خضب)، والتلخيص ٣٨١.

الطويلة<sup>(٨٤)</sup>. أما لفظ غَيْهَب فيدل على الظلمة وشدة سواد الليل والجَمَل وغيره، وجاء للدلالة على ظليم أسود<sup>(٨٥)</sup>. وقد وردت هذه الألفاظ في سياق تصوير سرعة ناقة وتشبيهها بنعام طويلة ذات نقيق أثقت تنافس ظليماً أسود في سيرها:

وَكَأَنَّهَا بِلَوَى مُلِيحَةً خَاضِبٌ

شَقَاءٌ نِقْنَقَةٌ تُبَارِي غَيْهَبًا<sup>(٨٦)</sup>

الرَّائِحَةُ: الطير المنقرقة أو الرائحة إلى أوكارها، وجاء اللفظ للدلالة على النعامة الرائحة إلى بيضها في سياق الحديث عن الرحلة والناقة التي شَبَّهت بظليم سريع يسابق نعامة فهو (تَبْرِي) لِرَائِحَةٍ يُسَاقِطُ رِيَشَهَا<sup>(٨٧)</sup> من شدة عدوها.

الرُّبْد: النعام الذي يكون لونه أسود يختلط بكدر غير حسنة، وقيل هو أن يكون لونه كله سواداً، الواحدة رُبْدَاءٌ والواحد أُرْبِدٌ<sup>(٨٨)</sup>. ورد اللفظ في سياق تصوير الوقوف بمنازل الحبيبة المهجورة، وما سكنها من النعام:

<sup>(٨٤)</sup> ينظر: الصحاح واللسان (شقق)، وأصل اللفظ من الشَّقَّق، والأشق الطويل من الرجال والخيل، والأنثى شَقَاءٌ.

<sup>(٨٥)</sup> ينظر اللسان (غهب).

<sup>(٨٦)</sup> مَرَّةٌ بن همام: المفضليات ٤/٨٢. اللوى: ما انعطف من الرمل. مليحة: موضع. والبيت شاهد على وصف الأنتى بلفظ (خاضب). وينظر لفظ (خاضب): علقمة بن عبدة ١٨/١٢٠ في سياق مماثل.

<sup>(٨٧)</sup> ثعلبة بن صغير: المفضليات ١٠/٢٤.

<sup>(٨٨)</sup> ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان (ريد)، والتلخيص ٣٨١.

تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا

إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالْعَشِيِّ حَوَاطِبُ<sup>(٨٩)</sup>

الرَّعْلَةُ: نعامة تتصف بالسبق، وسميت لذلك لأنها تكون متقدمة، فلا تكاد تُرى إلا سابقة الظليم<sup>(٩٠)</sup>. ويعد اللفظ من المشترك اللفظي، فهو يدل على القطعة من الخيل والطير وغير ذلك. ورد اللفظ في سياق تصوير المنازل التي خلت من الأهل وما سكنها من الوحش والنعام، فهي (مَعَاهِدُ) تَرَعَى بَيْنَهَا كُلُّ رَعْلَةٍ<sup>(٩١)</sup>.

سَطْعَاءٌ: نعامة طويلة العنق، يقال ظليم أسطع ونعامة سطعاء<sup>(٩٢)</sup>. وقد ورد اللفظ في سياق تصوير صَعْلٍ، وهو ولد النعام (تَحْفُهُ) هِقْلَةٌ سَطْعَاءٌ خَاضِعَةٌ<sup>(٩٣)</sup>.

نِقْنَقَةٌ، مُصَلَّمَةٌ، قَرَعَاءٌ: النِقْنَقَةُ نعامة ذات نقيق<sup>(٩٤)</sup>، والمُصَلَّمَةُ نعامة مُسْتَأْصَلَةٌ الأذنين خلقة<sup>(٩٥)</sup>.

<sup>(٨٩)</sup> الأخنس بن شهاب: المفضليات ٣/٤١. تزجي: تساق. الحواطب: اللاتي يحملن الحطب، وإنما خص العشي لأن الإماء المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن. وينظر اللفظ: سلمة بن الخرشب ٣/٦، مزرد بن ضرار ٢٣/١٥، عبدة بن الطبيب ٥٨/٢٦ في سياق تصوير المراعي وأماكن الكلا البعيدة.

<sup>(٩٠)</sup> اللسان (رعل). وينظر: الصحاح والمقاييس (رعل).

<sup>(٩١)</sup> مزرد بن ضرار: المفضليات ٤/١٥.

<sup>(٩٢)</sup> ينظر: الصحاح والمقاييس واللسان (سطع). واللفظ مشتق من السَطْع الذي يدل على طول الشيء وارتفاعه.

<sup>(٩٣)</sup> علقمة بن عبدة: المفضليات ٣٠/١٢٠. الهقلة: النعام. الخاضعة: التي تميل رأسها للرعى.

<sup>(٩٤)</sup> ينظر: المقاييس واللسان والقاموس (نقق). واللفظ مشتق من قولهم نَقَّ الظليم والدجاجة والرَّخْمَةَ والضفادع والعقرب تَتَّقُ نَقِيْقًا، ونقق: صوت،

الوحدات (مرة واحدة) لكل منها. وقد اشتركت وحدات الدائرة الدلالية الفرعية الثانية في ملح دلالي عام للنعام هو الجنس والعمر، وكان لكل وحدة ملح دلالي خاص، فوحدة النعامة تميزت بالأنوثة، وظهرت بوصفها معادلاً دلالياً للتعبير عن السرعة في سياق تصوير الإبل أثناء عودتها من المرعى للبرد والجذب، وكذلك للتعبير عن التفرقة والتشتت والخفة والشروء. وتميزت وحدة الحسك بالصغر والزغب، ووحدة الصعل بصغر الرأس ودقته، والهقلة بالفتوة، والحفان بصغر الأولاد، والظليم بالذكورة، والحول بالعقر، وعدم البيض. واشتركت وحدات الدائرة الدلالية الفرعية الثالثة في ملح دلالي عام هو هيئة النعام وشكله ولونه، وكان لكل وحدة ملح دلالي خاص، فالخاضب الظليم بالذكورة مرحلة البلوغ، والشقاء بالطول، والغيب بالسواد، والرائحة بالتي تروح إلى بيضها، والريد باللون الأسود المختلط بكدر غير حسنة، والرعلة بالسبق والتقدم، والسطعاء بطول العنق، والنقنة بالنقي، والمصلمة بقطع الأذنين خلفه، والقرعاء بسقوط الشعر.

ولقد سجلت بعض وحدات هذه الدائرة الدلالية الرابعة بعض العلاقات كالترادف بين وحدتي الحسك والحفان، وعلاقة التقابل بين وحدتي النعامة الظليم، وعلاقة العموم والخصوص بين وحدة النعامة وباقي الوحدات. ونُظر إلى بعض الألفاظ على أنها من المشترك اللفظي، مثل الخيطان فهو يدل على جماعة البقر، والقطعة من الجراد أيضاً، والرعلة فهو

أما لفظ قرعاء فيطلق على النعامة وغيرها إذا سقط ريش رأسها من الكبر، يقال قرعت النعامة قرعاء<sup>(٩٦)</sup>.

وردت هذه الألفاظ في سياق نعت مشية فرس بمشية نعامة ذات نقيق، مقطوعة الأذان قرعاء:

بِرْفَيْفِ نِقْنَقَةٍ مُصَلِّمَةٍ

قَرَعَاءَ بَيْنَ نَقَانِقٍ قُرْعٍ<sup>(٩٧)</sup>

ويُستنتج مما سبق أن عدد وحدات هذه الدوائر الدلالية الفرعية الثلاث التي تشملها الدائرة الدلالية الرابعة التي تشير إلى النعام بلغ ثماني عشرة وحدة. وكان للدائرة الأولى وحدة واحدة - الخيطان - دالة على جماعة النعام دون تحديد العدد، والدائرة الثانية سبع وحدات، والدائرة الثالثة ثماني وحدات. وتسجل وحدة النعام نسبة شيوع مرتفعة من حيث التكرار (٩ مرات)، ثم تأتي وحدة الريد (٤ مرات)، ثم تأتي وحدات الصعل والخاضب والنقنة (مرتين)، وباقي

والنقنق: الظليم. وجاء في المقاييس والقاموس أيضاً: النِقْنِقُ بكسر النونين. وينظر لفظ (نِقْنَقَةٌ): علقمة بن عبدة ٢٠١٢/٢٨.

<sup>(٩٥)</sup> ينظر: الصحاح واللسان (صلم). وأصل اللفظ من الصلّم، وهو قطع الأذن والأنف من أصلهما، والظليم مصلّم وصف لذلك لصغر أذنيه وقصرهما، يقال: صلّم الشيء صلماً قطعاً من أصله.

<sup>(٩٦)</sup> ينظر: اللسان (قرع)، وأصل اللفظ من: قرع الرأس، وهو أن يصلح فلا يبقى عليه شعر.

<sup>(٩٧)</sup> بشامة بن الغدير: المفضليات ٨/١٢٢. الزفيف: مشي فيه تقارب كمشي النعام. وينظر لفظ (نِقْنَقَةٌ): مرة بن همام ٤/٨٢، ولفظ (مصلوم): علقمة بن عبدة ٢٠/١٢٠ في سياق مماثل.

إن تقديم النعام في مشهد متكامل يقود إلى اليقين أن الشاعر لا يقصد إبراز سرعة عدو الناقة على الرغم من مشروعية ذلك في التصوير الفني فحسب، "ولو كانت السرعة هي المقصد لما استطعنا أن نعرف إلحاح الشاعر على جانب من حياة هذا الحيوان"<sup>(٩٩)</sup>.

ويكاد عُلْمَةُ بن عَبْدَةَ وَثَعْلَبَةُ بن صُعَيْر هما الوحيدان اللذان فصّلا الحديث عن النعام راسمين مشهدين ينبضان بحياة هذا الحيوان، مما يؤكد أن تشبيه الشاعرين الناقة بالنعام لإبراز سرعة عدوها، وإن جاء بوصفه تخلصاً وجيهاً، "فإن المشبه به مقصود لذاته، لا لبيان سرعة المشبه، فعُلْمَةُ عنده تجربة حية نابضة، راقب فيها ذكر النعام مراقبة دقيقة وخلص إلى أدق أسرار حياته"<sup>(١٠٠)</sup>. فهو يقول:

يدل على القطعة من الخيل والطير وغير ذلك. وجاءت أغلب هذه الوحدات في سياق نعت سرعة الإبل والخيل، وتصوير فرار المقاتلين، وصف المنازل المهجورة وما حل فيها، والقفار وأماكن الصيد، ويُلاحظ أن وحدة النعام تأتي أيضاً في سياق السخرية والتهكم والتحسر لما يحدث من فرقة بين القوم.

#### المحور الثاني: موضوعات الطير ورموزها:

ترد موضوعات الطيور متعلقة بموضوعات متعددة، لعل نعت الإبل والخيل وما يتصل بهما، والفخر المتنوع الأسباب يأتیان في المقدمة، إضافة إلى موضوعات تتوزع على: مقدمة القصيدة، وما تشمله من وصف الديار المهجورة والرحلة وطريقها، وعلى الغزل وحديث الشيب وأيام الشباب، وعلى الرثاء والحنين لبعث الأحبة، وعلى ما يتصل بالحديث عن بعض معتقدات العرب القدماء:

١ \_ يفصّل شعراء المفضليات في أوصاف الناقة، ولعل أبرز صفة استرعت انتباههم سرعة عدوها، وهم يتوسلون لذلك بعقد مقارنة بينها وبين أنواع الطيور التي يأتي النعام في مقدمتها<sup>(٩٨)</sup>، وهم ينقسمون في عقد هذه المقارنة قسمين، الأول يرسم مشهداً شاملاً نابضاً بحياة النعام، والثاني يشير إليه إشارة موجزة إيجازاً شديداً.

<sup>(٩٩)</sup> قراءة ثانية لشعرنا القديم: لمصطفى ناصف، دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ب.ت، ١٠٤.

<sup>(١٠٠)</sup> الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: لمحمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، ب.ت، ٣٤٥. ويرى النويهي، ص ٣١٨ في هذا التخلّص أنه "ظاهرة من أهم الظواهر في الفن الجاهلي، وأجدرها بالتفكير الطويل، وهي إطالة المشبه والاستطراد فيه إلى حد يبدو مسرفاً. فهذه الظاهرة لا يمكن تعليلها تعليلاً مقنعاً ما دمتنا نصدق ادعاء الشاعر أنه جاء بالتشبيه ليوضح المشبه، ولم ندرك أن هذا التشبيه الطويل المستطرد ليس إلا حيلة يحتالها الشاعر للخلاص من موضوع يعتقد أنه وفّاه حقه إلى موضوع آخر يريد أن يعطيه عنايته، فيلتمس هذا الربط المصطنع ليبرر انتقاله".

<sup>(٩٨)</sup> لعل هذا هو الدافع في أن حظي النعام بدراسة مستقلة. ينظر: النعام في شعر شعراء المفضليات والأصمعيات (دراسة موضوعية فنية): إعداد جبر محمد سليمان عواد، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١٢.



وواضح أن الشاعر يعتمد على لوحات فرعية لتقديم مشهد متكامل للنعام. في اللوحة الأولى يرسم صورة ظليم احمرّ جلده وساقاه، وقلّ ريشه، وطاب له المرعى، فهو ينقف الحنظل القاسي مستخرجاً حبه، ويقطع ورق التتوم

منعطف الرمل. الشري: شجر الحنظل، والظليم يأكله. التتوم: شجر ورقه يشبه ورق الآس. الخطبان: الحنظل فيه خطوط تضرب إلى السواد، وهو أشد ما يكون مرارة. ينفقه: يستخرج حبه. استنطف: ارتفع وأمكن. مخذوم: مقطوع، ليأكله. لأياً: بطيئاً. تبينه: تتبينه، أي فوه لاصق ليس بمفتوح، لا تستبينه إلا بعد بضع. أسك: أصم، أو صغير الأذن لاصقها بالرأس. المصلوم: المقطوع الأذنين. مغيوم: فيه غيم. التزيد: سير سريع. النفق: السريع الذهاب. الزفيف: دون الشد قليلاً. مسؤوم: من السأم، يعني أنه لا يسأم من الزفيف. منسمه: ظفره. المشهوم: الفزع المروع. الوضع: عدو سريع من عدو الإبل، والتاء في "وضاعة" للمبالغة، وصف به الظليم. الجوجؤ: الصدر: الشرع: الأوتار، واحدها شرعة. وعصيها: البربط، أي عود الغناء. التناهي: جمع تنهية، وهي الأماكن المطمئنة ينتهي إليها الماء. العلجوم: البعير الطويل المطلي بالقطران. الحسكل: الفراخ. جرتوم: جمع جرتومة، وهي أصول الشجر. الأدحي: مبيض النعام. يقفره: ينظر إليه هل يرى به أثراً. تلافى: تدارك. عرسين: أي هو ونعامته. يوجي إليها: يصوت لها ففهم عنه. الإنقاض: التصويت. النقفقة: صوت الظليم. الأقدان: القصور. الصعل: الخفيف الرأس والعنق. مهجوم: ساقط مهدوم. الهقلة: النعام. السطعاء: الطويلة العنق. الخاضعة: التي تميل رأسها للرعى. الرّمار: صوت أنثى النعام، والعرار صوت الذكر.

كأنها خاضب زُعرٌ قَوَادِمُهُ  
أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرِيٌّ وَتَتُّومٌ  
يَظَلُّ فِي الحَنْظَلِ الحُطْبَانِ يَنْفُقُهُ  
وما اسْتَنَطَفَ مِنَ التَّنُّومِ مَخْذُومٌ  
فُوهُ كَشَقِّ العَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنُهُ  
أَسْكَ مَا يَسْمَعُ الأصْوَاتِ مَصْلُومٌ  
حَتَّى تَذَكَّرَ بَيضَاتٍ وَهَيَّجَهُ  
يَوْمَ رَدَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغِيُومٌ  
فَلَا تَزِيدُهُ فِي مَشِيهِ نَفِقٌ  
وَلَا الرِّزْفِيفُ دُوَيْنَ الشَّدِّ مَسْؤُومٌ  
يَكَادُ مَنْسِمُهُ يَخْتَلُّ مُفْلَتَهُ  
كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومٌ  
وَضَاعَةٌ كَعَصِيٍّ الشَّرْعِ جُوجُوهُ  
كَأَنَّهُ بِنْتَاهِي الرُّوضِ عُلْجُومٌ  
يَأْوِي إِلَى حِسْكِ زُعْرٍ حَوَاصِلُهُ  
كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَكْنَ جُرْثُومٌ  
فَطَافَ طَوْفَيْنِ بِالْأَدْحِيِّ يَفْفِرُهُ  
كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومٌ  
حَتَّى تَلَافَى وَقَرْنُ الشَّمْسِ مُرْتَفِعٌ  
أَدْحِيٌّ عَرَسَيْنِ فِيهِ البَيْضُ مُرْكُومٌ  
يُوجِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضٍ وَنَقْفَةٍ  
كَمَا تَرَاظَنَ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ  
صَعْلٌ كَأَنَّ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ  
بَيَّتْ أَطَافَتْ بِهِ حَرْقَاءُ مَهْجُومٌ  
تَحْفُهُ هِقْلَةٌ سَطْعَاءُ خَاضِعَةٌ  
تُحْيِبُهُ بِزِمَارٍ فِيهِ تَرْنِيمٌ<sup>(١٠١)</sup>

(١٠١) المفضليات ١٢٠/١٨ - ٣٠. الخاضب: الظليم قد احمر جلده وساقاه. القوادم: ريشات في مقدم الجناح. أجنى النبات: أدرك أن يجتئى. اللوى:

مصوِّراً منظراً بديعاً لخباء من شعر أو صوف  
تصلحه امرأة خرقاء غير صناع، فإذا ما رفعته  
من جانب سقط من جانب آخر، وقد أحاطت  
به نعامة طويلة العنق، وأخذت تميل برأسها إليه  
شوقاً، تتاجيه ويناجيها بصوت كأنه الترنيمة.

ويقول ثعلبة بن صعير مشبهاً ناقته التي  
يرتحل عليها بعيداً عن خليله الذي لم يدم  
وصله بظلم يفصل في وصفه:

وَكأنَّ عَيْبَتَهَا وَفَضْلَ فِتَانِهَا

فَنَنَانٍ مِّنْ كَنَفِي ظَلِيمٍ نَافِرٍ

يَبْرِي لِرَائِحَةِ يُسَاقِطُ رِيَشَهَا

مَرُّ النَّجَاءِ سِقَاطِ لَيْفِ الْآبِرِ

فَتَذَكَّرْتُ ثَقَلًا رَثِيْدًا بَعْدَمَا

أَلَقْتُ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ

طَرَفَتْ مَرَاوِدُهَا وَغَرَّدَ سَقْبُهَا

بِالْأَيْ وَالْحَدَجِ الرَّوَاءِ الْحَادِرِ

فَتَرَوَّحًا أَضْلًا بِشَدِّ مُهْذِبٍ

نَرٍّ كَشُؤْبُوبِ الْعِشِيِّ الْمَاطِرِ

فَبَنَنْتُ عَلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ خِبَاءَهَا

كَالْأَحْمَسِيَّةِ فِي النَّصِيفِ الْحَاسِرِ (١٠٣)

(١٠٣) المفضليات ٩/٢٤ - ١٤. الغيبة: وعاء من جلد

يكون فيه المتاع. الفتان: غشاء للرحل من جلد.

الفن: الغصن. كنف الظلم: جانباها، وأراد جناحيه.

يبري: يعارض ويباري. الرائحة: النعامة تروح إلى

بيضاها. يساقط ريشها: يسقط ريشها من شدة

عدوها. النجاء: السرعة. الأبر: مصلح النخلة

للتلقيح، فإذا صعدها رمى بالليف عنها. الثقل:

المتاع وكل شيء مصون، وأراد به بيضاها. الرثيد:

المنضود بعضه فوق بعض. ذكاء: الشمس.

الكافر: الليل. المراد: المواضع التي ترد فيها.

الطري، وهو ذو فوه لاصق ليس بمفتوح، بحيث  
لا ترى شدقه، ولا تستبينه إلا بعد بطف، وهو  
أصم صغير الأذن. إنه يعيش حالة من السعادة  
والهناء. وفي اللوحة الثانية يصور الظلم وقد  
تذكر بيضه في أدحيه الذي غادره صباحاً طلباً  
للمرعى، وترافق هذا باشتداد الريح وهبوب  
المطر الخفيف، فأخذ قافلاً قبل أوان الرواح إلى  
أفراخه الصغيرة اللاصقة بالأرض حتى كأنها  
أصول الشجر، وهو في هذا يبدي فنوناً من  
العدو من سير سريع أو دونه بقليل، حتى ليكاد  
ظفره يشك عينه لأنه يزج برجليه زجاً شديداً  
بخفض عنقه، وهنا يبرز علقمة رشاقة هذا  
الظلم، فتارة ترى صدره المقوس كأنه عود  
الغناء، وتارة أخرى تراه في آخر الروض  
كالبعير المطلي بالقطران، أو طائر الماء وفق  
بعض الشروح (١٠٢).

وتصور اللوحة الثالثة وصول الظلم إلى  
أدحيه قبيل غروب الشمس، وهو يطوف حوله  
مرتين مبرزاً حذره وفرعه من أن يكون قد سبقه  
إليه أحد، أو أن يكون أحد يراقبه، وما إن  
اطمأن حتى أوى إلى بيضه وفراخه، وأخذ  
يراطنها بنقنقته وإنقاضه، فتجيبه بالمثل، حتى  
ليخيل للشاعر أن الروم تتراطن في قصورها.  
ويختتم المشهد بتصوير هذا اللقاء الأسري بعد  
فراق، فقد جثم الظلم على بيضه ناشراً جناحيه

(١٠٢) ينظر الشروح في: ديوان المفضليات للمفضل

الضبي: شرح أبي القاسم محمد الأنباري، عني

بطبعه كارلوس يعقوب لایل، مطبعة الآباء

اليسوعيين ببيروت، ١٩٢٠، ٨٠٤ - ٨٠٥.

إن علقمة بن عبدة ينتقل في مفضليته من ناقته التي ينظر إليها بوصفها معادلاً موضوعياً له إلى الحديث عن الظليم الذي شكّل وحدة معنوية ليوحي بالماضي الجميل، وليجسّم إحساسه بالحياة وجمالها وإشراقها ووضاءتها حين يحيها المرء في غفلة من عين الدهر. وقد أبدع علقمة حين راح ينمي هذه الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، ويزيدها توهجاً وإشراقاً من خلال الظليم الذي ظلّ يرتقي بصورته حتّى بلغ بها في اقتدار فني باهر مرحلة التشخيص، فإذا نحن أمام هذه الأسرة الإنسانية الصغيرة، بكل ما تموج به من الفرح والحبور والغبطة والحب والتراحم والغناء وما يشبه الرقص، لا يميزها مائز، فهي تتراطن كما تراطن في أفدائها الروم<sup>(١٠٤)</sup>. أما ثعلبة بن صُعير فقد جاءت

وواضح أنه يتخلص من وصف الناقة وما اكتنف جانبيها من العيبة والفئان بتصويرها على شاكلة ظليم نافر يسرع فيحرك جناحيه مع اقتراب مغيب الشمس ودنوّ الليل بظلامه. إنه ظليم أخذ يسابق زوجه النعام التي اشتدّ عدوها فأخذ ريشها يتساقط كما يتساقط ليف نخلة بين يدي مصلحها، وكيف لا يسرعان، وقد تذكرنا بيضهما المنضود بعضه فوق بعض، وهما بعيدان عنه، وخيل إليهما أنهما يسمعان تغريد أفرأخهما بين أشجار الآء والحدج. وهكذا أخذنا يجريان سريعاً أشبه بسرعة وقع دفعة المطر ذات مساء، حتّى وصلا إلى أديهما، فأخذت النعام تبسط جناحيها على البيض راسمة صورة خباء مع حلول الظلام، فبدت كامرأة أحمرسية كشفت عن رأسها ووجهها إدلالاً بحسنها.

إن تصوير النعام المفصل في هاتين المفضليتين لعلقمة وثعلبة يقتضي مزيداً من التدقيق في علاقته مع بقية وحداتهما المعنوية، ويلزم تفسيراً وفق كل شاعر في مفضليته.

<sup>(١٠٤)</sup> شعرنا القديم والنقد الجديد، لوهب رومية، سلسلة عالم المعرفة، ع ٢٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ١٩٩٦، ٢١١. ولعل المرء لا يجد أكثر دقة من تفسير د. وهب رومية (المرجع نفسه، ٢٠٤ - ٢٢١) وتحليله لمفضلية علقمة الذي يكشف عن ذائقة شعرية رائعة، فهو يرى أن الشاعر كان يواجه الدهر الذي أشقاه بصرامته، فتكون لديه إحساس بمضي الزمن الصافي، كما وجدت لديه رغبة في تنسم نفحة من العمر الجميل الذي بددته الأيام، ولذا فهو يتوق لتحقيق حلمه بالفرح والحب، مما اقتضى منازلة الدهر لاسترجاع هذا الحلم المتمثل بصاحبته وطعائنها فاستعان بتلك الناقة القوية التي ترمز إليه ليقدّر على مواجهة الدهر الذي أحاط به وكأنه تلك الصحراء المدلهمة التي ينقع فيها اليوم نذير الشؤم والخراب الذي لخص نتيجة هذه المعركة بين الناقة

طرفت: تباعدت. السقب: ولد الناقة، وأراد هنا الرأل، أي ولد النعام. الآء: شجر له ثمر يأكله النعام. الحدج: الحنظل. الرواء: جمع الريان. الحادر: الغليظ. الأصل: العشي. بشد مهذب: بجري سريع. ثر: شديد. الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره. عليه: على البيض. الأحمرسية: المرأة من الحمس، وهم قريش وخزاعة وبنو عامر وكنانة. النصيف: القناع. الحاسر: التي تكشف رأسها ووجهها إدلالاً بحسنها.

وحدة النعام في مفضليته لتجسيد جزء من ضمير الناقة التي يرى مصطفى ناصف<sup>(١٠٥)</sup>

أنها تجسد فكرة الأمومة الصابرة القادرة الراغبة في استمرار الحياة ، ومن هنا وجد الشاعر الأمومة عنصراً مشتركاً بين الناقة والنعام وما يتعلق بها من بيض ترتبط دلالاته بالذرية واستمرار النوع، ومن صورة المرأة القرشية الولود. أما القسم الثاني من الشعراء فإنهم لم يقدموا إلا صورة جزئية للنعام وبما لا يتجاوز بيتاً أو بيتين، لإبراز سرعة الناقة أو غير ذلك ما له علاقة بها. يقول مرة بن همام مشبهاً ناقته في موضع مُلِيْحَةٍ بنعامه طويلة حمراء، وقد أخذت تنافس ظليماً أسود في عَدْوِهَا:

وَكَأَنَّهَا بِلَوَى مُلِيْحَةٍ خَاضِبٌ

شَقَاءُ نِقْنِقَةٍ تُبَارِي غَيْهَبَا<sup>(١٠٦)</sup>

ويقول بشامة بن عمرو مصوراً ناقته السريعة بنعامه مذعورة مُجْدَّة في سيرها جاهدة في ملاحقة ذكرها:

إِذَا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ مَدْعُورَةٌ

مِن الرُّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقَأَ دُمُولَا

وقد يقصد الشعراء من صورة النعام نوعية محددة من سرعة الناقة كمقاربة الخطو كما في قول الحارث بن حلزة الذي يصف الإبل التي

والدهر، ولذا يهرب علقمة من هذا الدهر ومناوشته لناقته بانقلابها إلى ظليم يرتبط بالماضي الجميل الذي عصف الدهر به. وهذا يعني أن حديث الظليم توافق مع حديث الطعائن ومطلع المفضلية والحكمة، فالطعائن صورة رمزية لماض جميل انقلب الدهر به، مما يعني أن وحدة الظليم موازاة رمزية لوحدة الطعائن، وأن مطلع المفضلية الذي يوحي بأيام الصفو المشرقة التي ترمز لها وحدة الظليم هي العمر الجميل الذي مضى. أما وحدة الحكمة فهي تكشف حقيقة وحدة الظليم المرتبطة بالماضي، فهي تعقب وحدة الظليم مباشرة وتكشف عن رؤية يقينية مطلقة تتصف بالقسوة والسوداوية، وتوضح ضعف الإنسان أمام جبروت الدهر. وينظر: الرحلة في القصيدة الجاهلية، لوهب رومية، مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٩٨٢، ط ٣، ١٥٩ - ١٦١. وتنتظر قراءة محمد النويهي لصورة النعام في مفضلية علقمة: الشعر الجاهلي ٣٤٤ - ٣٧٨.

<sup>(١٠٥)</sup> قراءة ثانية ٩٧ - ١٠٣، وهو يرى أن الناقة برزت على أنها قادرة على كل شيء، وبدت كالعالم الثابت في مقابل ما يمثله الحديث عن الخليل المخلف لمواعيده. إنها ناقة تتصف بالقوة وتجسد فكرة الثبات والصمود على عكس حادثه الخليل التي تبدو عابرة ماضية، وأنها بوصفها الأم فهي تحمل المنبت الحقيقي لفكرة المحبة والرضا والسلام، والشاعر القديم يتصورها هائلة الجسم لأن ذلك يعني أنها معين لا ينضب، وطاقة لا يسبر غورها كله، وأن تصوير الناقة على هذا النحو وتوزعها على الظليم وغيره يشكل الرد الحاسم على ما كان يسود المجتمع الجاهلي من تناحر وقطيعة. ولقد ذهب وهب رومية في كتابه (الرحلة في القصيدة الجاهلية ١٥٨) إلى رمزية النعام

وارتباطها بالأمومة قائلاً: "إذا أضفت إلى هذا أحاسيس الأمومة الدافئة، ونداءها العميق النابع من القلب وقد أيقظته مخاوف الليل فلم تعد تطبق على إلحاحه صبراً، وتباعد عنها المزار، عرفت أي عاطفة ترشح من هذا الغناء الطيب الجميل".

<sup>(١٠٦)</sup> مرة بن همام: المفضليات ٤/٨٢. اللوى: ما انعطف من الرمل. الشقاء: الطويلة. الغيهب: الأسود، يعني ظليماً.

بادرت الإياب إلى حظائرها عشية لجذب  
المرعى وشدة البرد:

وَإِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ

رَتَكَ النَّعَامِ إِلَى كَنَيْفِ الْعَرْفَجِ<sup>(١٠٧)</sup>

وقول بشامة بن عمرو الذي يشير إلى هزال  
ناقته لكثرة أسفاره، ويحدد طريقة عدوها بين  
السير السريع ومشى النعام المشهور بتقارب  
الخطو:

أَنْضِيَ الرِّكَابَ عَلَى مَكَارِهَا

بِرَفِيفٍ بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْوَضْعِ

بِرَفِيفٍ نَفْنَقَةٍ مُصَلِّمَةٍ

قَرَعَاءَ بَيْنَ نَقَانِقِ قُرْعِ<sup>(١٠٨)</sup>

وقد يرد ذكر النعام في سياق الحديث عن  
الإبل ووصف مراعيها للدلالة على قيمتها وعزها:  
أَوْلَيْكَ أَوْ تَلِكَ الْمُنَاصِي رِبَاعُهَا

مع الرُّبْدِ أَوْلَادِ الْهَجَانِ الْأَوَابِدِ<sup>(١٠٩)</sup>

وإلى جانب النعام ترد أنواع أخرى من  
الطير<sup>(١١٠)</sup> في سياق الحديث عن الإبل

كالغراب والقطا كقول مُتَمِّمِ بْنِ نُؤَيْرَةَ مَصُورًا  
ناقته التي لا يقدر الغراب الوقوف على سنامها  
لامتلائه وملاسته:

حَتَّى إِذَا لَقِحَتْ وَعُولِي فَوْقَهَا

قَرِدٌ يُهْمُ بِهِ الْغُرَابُ الْمَوْعِ<sup>(١١١)</sup>

وقول المثقب العبدي مبرزاً نجابة ناقته  
وسرعتها متوسلاً بصورتها والنعامة:

فَبِتُّ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي

وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفْنَتِي وَفُتُوذُهَا

تَهَالِكُ مِنْهَا فِي الرَّخَاءِ تَهَالِكًا

تَهَالِكُ إِحْدَى الْجُونِ حَانَ وُزُودُهَا<sup>(١١٢)</sup>

وواضح أنه يبرز سرعة ناقته التي انقلبت  
إلى نعامة تجتهد في سيرها وتسرع في عدوها  
وقت استرخائها، ولنا أن نتصور هذه السرعة  
وقت نشاطها، ولذا فهو لا يكتفي بهذا، وإنما  
يجعل ناقته أشبه بقطة عطشى لا تألو جهداً  
في طيرانها للوصول إلى المياه، ذلك أن  
"الجامع بين الناقة والقطاة هو السرعة"<sup>(١١٣)</sup> هنا

(١٠٧) المفضليات ٩/٦٢. اللقاح: جمع لقحة، وهي ناقة ذات  
لبن. تروحت بعشية: بادرت الإياب والشمس حية. الرتك:  
مشي مسرع مع مقاربة الخطو. الكنيف: حظيرة تعمل من  
شجر تأوي إليها الإبل تكنفها من البرد. العرفج: شجر.

(١٠٨) المفضليات ٧/١٢٢ - ٨. أنضي: أهزل. الركاب:  
الإبل. مصلمة: مقطوعة الأذان. قرعاء: النعام كلها  
قرع.

(١٠٩) مَرَزْدُ بْنُ ضَرَارٍ: المفضليات ٢٣/١٥.

(١١٠) وقد لا يحدد الشعراء طيوراً معينة، وإنما أطلقوا  
عليها لفظ الطير مشبهين بها خيولهم تصويراً  
للسرعة، ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي:  
لنوري حمودي القيسي، دار الإرشاد للطباعة

والنشر والتوزيع ببيروت، ط ١، ١٩٧٠، ٢٠٤.  
وينظر بشر بن أبي خازم ٣٢/٩٧ في سياق نعت  
سرعة الخيل.

(١١١) المفضليات ٧/٩. لقحت: الناقة إذا لقحت كانت  
أول لقتها أشد ما تكون وأحده نفساً. القرد: السنام  
المجتمع بعضه إلى بعض. عولي فوقها: نما فرفعت  
طبقاته بعضها فوق بعض. الموقع: مصدر ميمي  
بمعنى الوقوع.

(١١٢) المفضليات ١١/٢٨. التهالك: شدة السير  
والاجتهاد فيه. الرخاء: الاسترخاء. الجون: القطا.  
(١١٣) صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي،  
لسلامة عبد الله السويدي، مجلة مركز الوثائق

وواضح أنه في البيت الثاني يضيف إلى ذلك الإشارة إلى تغريد الطير لنعنت صوت ناب ناقته. وعلى هذا النحو نهل الشعراء من القطاة وصفاتها ما جسّدوا به بعض صفات إبلهم ، فقد لفنهم صغر أفاحيصها، فاستعاروها لتأكيد نجابة إبلهم بتشبيه ثغفاتها بتلك الأفاحيص<sup>(١١٦)</sup>، كقول الحادرة:

فَتَرَى بَحِيثٌ تَوَكَّأَتْ ثَفْنَاتُهَا

أَثَرًا كَمُفْتَحَصِ الْقَطَا لِلْمَهْجَعِ<sup>(١١٧)</sup>

وكما وقف شعراء المفضليات في سياق حديثهم عن الإبل عند أنواع من الطيور، فإنهم

أيضاً، وهذه الصورة تتكرر لدى عدد كبير من الشعراء، فهم يشبهون إبل الرحلة التي تعتسف مجاهل الصحراء مسرعة بطيور القطا التي استبد بها العطش، فهي تجدّ في طيرانها إلى موارد الماء، وهم في ذلك يعبرون أيضاً عن مشاعر الفخر والاعتداد بالنفس وعلو الهمة، ولكنهم يتوسلون بالقطا للتعبير عن هذه المشاعر<sup>(١١٤)</sup>.

ويتوسّل شعراء المفضليات بالقطا أيضاً لتأكيد نجابة ناقتهم بتصوير خفها الصغير، وما لامس الأرض من باطن ذراعيها وعضديها حين تبرك بمعرّس القطا اللواتي يبكرن في الورود إلى الماء، كقول المتقّب العبدى:

كَأَنَّ مَوَاقِعَ الثَّفَنَاتِ مِنْهَا

مُعَرَّسُ بَاكَرَاتِ الْوَرْدِ جُونِ

وَتَسْمَعُ لِلذُّبَابِ إِذَا تَغَنَّى

كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الْوُكُونِ<sup>(١١٥)</sup>

<sup>(١١٦)</sup> جدير بالذكر هنا تفسير مصطفى ناصف: قراءة ثانية ١٥٣ وفق رؤية شاملة لمفضلية الحادرة، حيث يقول: "إن آثار ثغفات الإبل إذا بركت صغيرة كأفاحيص القطا في الأرض لبيضه. وهذه الصورة أكبر من أن تكون تابعاً ملحقاً لإبراز فكرة عن آثار الإبل في الأرض. القطا هنا لا يهجع مهما يقل النحو. القطا لم يترك لينام، إنه قضى ساهراً في الأخبار والأمثال. كذلك كان الإنسان محكوماً عليه بأن يكون مسافراً أبداً الدهر، فهل يبلغ سمية ... أتستطيع أن تقول إن سمية امرأة فانية أو قصة شخصية عنت الحادرة من دون الناس. ولنقرأ مرة أخرى كيف جعل الشاعر القطا في عبارات قصيرة رمز الإنسان ذلك البطل النبيل الذي يريد أن يرتفع إلى مراتب السحاب والمطر، ولكن شيئاً يعوقه فيظل يضرب في الأرض يؤكد فيها آثاره حتى يظفر لنفسه بمكان يقربه من الآلهة".

<sup>(١١٧)</sup> المفضليات ٣٠/٨. الثغفات: مواصل الذراعين والعضدين من باطن، وهي التي تلي الأرض منها إذا بركت. مفتحص القطا: حيث يفحص في الأرض لبيضه. المهجع: موضع الهجوع.

والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ع ١٣، ٢٠٠١، ١٦٤.

<sup>(١١٤)</sup> توظيف القطا فنياً في نماذج من شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، لفاطمة تجور، مجلة جامعة دمشق، مج ٣١، ع ١ - ٢، ٢٠١٥، ٦٣. وينظر في صورة القطا ولزومها ماء الورد أو هروبها من النسر بوصفها أنسب صورة للمقارنة بينها وبين الإبل والخيل في السرعة: صورة الحيوان والطير في القرآن الكريم (دراسة بلاغية) ، لأحلام عبد الله سليمان صالح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٢، ٣٤.

<sup>(١١٥)</sup> المفضليات ٢٤/٧٦، ٢٩. معرس: مكان التعريس وهو النزول آخر الليل. الذباب ههنا: حد ناب الناقة إذا صرفت بأنيابها.

وقد يتوسل الشاعر بصورة القطاة تتبعها الصقور، ليوحي بمزيد من شدة الطيران وسرعة العدو:

وَإِنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ الْعِنَانِ تَوَرَّدَتْ

هُوِيَّ قَطَاةٍ أَتْبَعَتْهَا الْأَجَادِلُ<sup>(١٢٢)</sup>

وقد يربط الشاعر صورة الصقر أو العقاب بأنواع أخرى من الطيور كالحمام<sup>(١٢٣)</sup>، ومن الحيوان كالأرنب. يقول الحارث بن حلزة يفخر بغدوه لصيد الطباء الشبيهة باللالئ، فيشبهه فرسه بصقر يتحرز حماماً يدخل لفرعه بين شجر العوسج:

فَكَأَنَّهِنَّ لَأَلِيٌّ وَكَأَنَّه

صَقْرٌ يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَوْسَجِ

صَقْرٌ يَصِيدُ بِظُفْرِهِ وَجَنَاحِهِ

فَإِذَا أَصَابَ حَمَامَةً لَمْ تَذْجُجْ<sup>(١٢٤)</sup>

ويقول سلمة بن الخرشب واصفاً فرسه

الكميت في طلب الصيد كطاب العقاب للأرنب:

هُوِيَّ عُقَابٍ عَزْدَةَ أَشَارَتْهَا

بِذِي الصُّمْرَانِ عِكْرِشَّةَ دَرُومٍ

<sup>(١٢٢)</sup> المزرد بن ضرار: المفضليات ٣٣/١٧. توردت:

أسرعت. الأجادل: جمع أجدل، وهو الصقر. وينظر البازي، وهو نوع من الصقور في سياق تصوير سرعة فرس في رحلة صيد: المرار بن منقذ ٢٣/١٦.

<sup>(١٢٣)</sup> قد تأتي صورة مفردة للصقر: المزرد بن ضرار

١٨/١٧ أو للعقاب: بشر بن أبي خازم ٤٥/٩٨،

أو للحمام الذي يتسابق إلى الماء القليل: بشر بن

أبي خازم ٣٢/٩٧ بوصفها معادلاً موضوعياً

لسرعة الخيل.

<sup>(١٢٤)</sup> المفضليات ٥/٦٢ - ٦.

وقفوا عندها أيضاً في سياق حديثهم عن الخيل لإظهار سرعتها وشدة انقضاضها، وهنا تأتي - في المقدمة - القطاة التي ترمز إلى السرعة<sup>(١١٨)</sup>، وتوحي بالكثرة لأنه يعرف عنها أنها لا تسير إلا في جماعة<sup>(١١٩)</sup>، فقد خصها الشعراء جميعاً حين ترد الماء، "واستحضروا صوراً مختلفة أثناء وصفهم للخيل التي كانت ذريعتهم للقطا، واحتاجوا أحياناً لرمزية الصقر، كما احتاجوا إلى القطاة"<sup>(١٢٠)</sup>، والعقاب وغيرها من الطيور التي جعلوها معادلاً موضوعياً للسرعة. وهذا سويد بن أبي كاهل يصور خيله تسرع في سيرها ليلاً مستحضراً صورة جماعة القطا توفي الماء صباحاً:

يَدْرِعَنَّ اللَّيْلَ يَهُوِينَنَّ بِنَا

كَهَوِيَّ الْكُدْرِ صَبَّحَنَّ الشَّرْعُ<sup>(١٢١)</sup>

<sup>(١١٨)</sup> جاء في كتاب حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الهميري، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر بدمشق، ٢٠٠٥، ٥٠٩/٣ "أن القطا شديدة الطيران، وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها أكثر".

<sup>(١١٩)</sup> صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأبي العباس أحمد القلقشندي، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣، ٧١/٢.

<sup>(١٢٠)</sup> صورة القطاة ١٦٣.

<sup>(١٢١)</sup> المفضليات ٤٠:٢٨. يدرعن الليل: يدخلن فيه كما تلبس الدرع. الكدر: القطا الكدري، وهو الذي في لونه غبرة. صبحن: وافين في الصبح. الشرع: الماء والشرب معاً. وينظر: حاجب بن حبيب ٧/١١٠، وربيعة بن مقروم ٨/١١٣.

فقد نصب خصومه له ولرفاقه كميناً للإيقاع بهم في موضع العيكتين، فما كان من سبيل للنجاة سوى بالعدو الشديد وقوة الجري، وهنا يتوسل لذلك باستحضار ما كان يُضرب به المثل في ذلك من نعام وظباء وخيل وطيور جارح، فقد انقلب الشاعر إلى ظليم تتأثر ريشه بسبب عدوه، وإلى ظبية رعت نبات الشث والطباق اللذين يضمران راعييهما، ويشدان لحمهما، ذلك أنه لا يوجد من هو أسرع منه سوى ذلك الفرس، وذلك الطير الجبلي الذي ينطلق سريعاً إلى ذروة الجبل. وعلى هذا النحو يصور الحارث بن وعلة هروبه وجماعته من وجه أعدائهم جامعاً بين صورتَي العقاب والنعام بقوله:

نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ

كَأَنِّي عَقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرٍ

خُدَارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَدَ رِيْشِهَا

مِنَ الطَّلِّ يَوْمَ دُوْ أَهَاضِيْبٍ مَاطِرٍ

كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حُدْنَةُ دُونَنَا

نَعَامٌ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرٌ (١٢٧)

(١٢٦) المفضليات ٦/١ - ٧. حثحثوا: حركوا. القوادم: ما ولي الرأس من ريش الجناح. والحص: جمع أحص، وهو ما تتأثر ريشه وتكسر، وهو الظليم ذكر النعام. الخشف: ولد الظبية. الشث والطباق: نباتان طيبا المرعى. العذر: جمع عذرة، وهي ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس. الريد: الشمراخ الأعلى من الجبل.

(١٢٧) المفضليات ٣٢/٢ - ٤. تيمين: موضع باليمن. الخدارية: العقاب السوداء. السفعاء: عقاب سوداء يميل سوادها إلى حمرة. الأهاضيب: جمع أهضوية، وهي المطرة العظيمة. حُدْنَةُ: أرض. متواتر: متواتر العدو

وقد يفصل الشاعر في صورة الطير، فلا يكتفي بذكر اسم عام لجنس الطير، وإنما يردفه بذكر نوعه وتقديم صورة مفصلة عنه للإيحاء بمزيد من السرعة، كقول سلمة بن الخرشب أيضاً:

فَلَوْ أَنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ أُدْرِكْتُ

وَلَكِنَّهَا تَهْفُو بِتِمْتَالٍ طَائِرٍ

خُدَارِيَّةٌ فَتَخَاءَ أَلْتَقَ رِيْشُهَا

سَحَابَةٌ يَوْمَ ذِي أَهَاضِيْبٍ مَاطِرٍ (١٢٥)

فهو يصف فرساً سريعة كانت سبباً في نجاة أحد الفرسان، ويقارنها بصورة طائر سريع ينقلب إلى طائر العقاب ذي الجناح اللين، واللون الأغبر، وقد أخذت دفعات من المطر تهطل عليه، فما كان منعه إلا المبادرة سريعاً إلى وكره.

٢ \_ لقد كان الفخر سواء الذاتي أو الجماعي ميداناً لاستحضار موضوع الطيور بوصفها معادلاً موضوعياً للسرعة، ولعل الشعراء الصعاليك يأتون في المقدمة، فقد كانت السرعة بعض آلتهم في الحياة، وهذا تأبط شراً يفاخر بالهروب من خصومه معتمداً على سرعته الفائقة بقوله:

كَأَنَّمَا حَثْحَثُوا حُصًّا قَوَادِمُهُ

أَوْ أُمَّ خِشْفٍ بِذِي شَثِّ وَطَبَّاقٍ

لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنِّي لَيْسَ ذَا عُدْرٍ

وَذَا جَنَاحٍ بِجَنْبِ الرِّيدِ حَفَّاقٍ (١٢٦)

(١٢٥) المفضليات ٨/٥ - ٩. تهفو: تسرع. العقاب الخدارية: التي يضرب لونها إلى السواد والغبرة. الفتحاء: اللينة الجناح. الأهاضيب من المطر: دفعات منه.



يفخر باجتياز الفياقي المجاهيل التي لا أنيس  
 فيها إلا الثعالب والبوم على ناقة سريعة:  
 وَسَمَحَةَ الْمَشْيِ شِمْلَالٍ قَطَعْتُ بِهَا  
 مَهَامَهَا وَخُرُوقاً لَا أُنَيْسَ بِهَا  
 أرضاً يَحَارُ بِهَا الْهَادُونَ دَيْمُونَا  
 إِلَّا الصَّوَابِحَ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومَا<sup>(١٣٠)</sup>  
 وعلى هذا النحو من الفخر يغدو سَلَمَةَ بن  
 الخُرْشُبِ على فرسه مجتازاً موضعاً مخيفاً  
 يتحاماه الناس، فأخذت النعام تبيض فيه:  
 وَمُخْتَاضٍ تَبْيِضُ الرُّبْدُ فِيهِ  
 تُحُومِي نَبْتُهُ فَهُوَ الْعَمِيمُ<sup>(١٣١)</sup>

بطبيعتها مخيفة، فكيف إذا سمع فيها مثل هذه  
 الأصوات".

<sup>(١٣٠)</sup> المفضليات ١٠/١٢٥ - ١١. السمحة: السهلة.  
 الشملال: السريعة. الديموم: جمع ديمومة، وهي الفقر  
 التي لا ماء فيها ولا علم. المهامه: جمع مهمه، وهو  
 القفر. الخروق: جمع خرق، وهي الفلاة تتخرق فيها  
 الرياح. الصوابح: الثعالب. الأصداء: جمع صدى، وهو  
 نكر البوم. وينظر: المرشش الأكبر ٦/٤٧، ٩، وعلقمة  
 بن عبدة ١٦/١٢٠ في سياق مماثل. وهناك من يرى أن  
 الأصداء جمع الصدى وهو طائر يخرج من رأس  
 المقتول إذا بلي، وهذا ما يتعلق بمعتقدات العرب  
 الجاهلية القديمة. وينظر الأصداء: الأسود بن يعفر  
 ١١/١٢٥.

<sup>(١٣١)</sup> المفضليات ٣/٦. المختاض: الموضع الذي  
 يخوض فيه الناس لكثرة عشبه والتفافه. تحومي نبتة:  
 تحاماه الناس لم يرعوه لخوفه، فغزر نبتة وصار عميماً.  
 العميم: التام الكامل. وينظر: عبدة بن الطبيب ٥٧/٢٦  
 - ٦٠، في سياق فخره وهو يمتطي جواده مرتاداً مكاناً  
 بعيداً كثير الكلا، حيث تجمعت فيه الوحوش واختلطت  
 بالنعام وأولادها فلا يمرّ به أحد.

وواضح أنه يقر بفراره من خصومه في  
 موضع تَيْمَنَ، وينسب الفضل في ذلك لسرعته  
 الشديدة، وهنا يتوسل بصورة العقاب الكاسر الذي  
 يضم جناحيه وقت الانقضاض على صيده،  
 ويتوسع الشاعر في هذا المشهد الذي يشخص  
 عقاباً ذات لون أسود ضارب إلى الحمرة، وقد  
 أسرعت إلى وكرها بعد أن داهمتها أطار غزيرة.  
 وكذلك فهو يسجل هروب جماعته، فقد انقلبوا  
 إلى نعام هارب يلاحقه فارس شجاع، ذلك أن  
 "النعام رمز للهروب والفرار"<sup>(١٢٨)</sup>.

ولقد قاد الفخر باجتياز الفلوات المقفرة  
 الموحشة، وارتياح أماكن الكلا البعيدة إلى الحديث  
 عن الطيور، ذلك أن الشعراء "إذا أردوا أن  
 يصفوا الفلاة وانخرق الرياح فيها، عرضوا لذكر  
 الثعالب والأصداء والبوم، ليدلوا على خلوها من  
 الإنسان، ومن ثم جرأتهم في اقتحامها، وقدرتهم  
 على السير فيها"<sup>(١٢٩)</sup>. وهذا الأسود بن يعفر

متابعه، وهو صفة للنعام. وينظر: ضمرة بن ضمرة  
 ١/٩٣ في سياق فخره بتشتيت شمل رجال كتيبة شبيهة  
 بنار مشتعلة، وهي تسرع ثقة ببأسها ونصرها سرعة  
 الطير.

<sup>(١٢٨)</sup> الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص):  
 لحسن عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار  
 بالقاهرة، ٢٠٠١، ٤٢٢.

<sup>(١٢٩)</sup> الطبيعة في الشعر الجاهلي، ١٦٨، وفيه أن  
 "البوم مبعث قلق، وأليف خراب"، ص ٢٨٩.  
 وينظر: صورة الحيوان والطيور في القرآن الكريم،  
 ٣٤ حيث تم تعليل ورود البوم في وصف الشعراء  
 للصحراء وطبيعتها المخيفة بأنه "دليل على نفور  
 العرب وتشاؤمهم من هذا الطائر، فالصحراء

وفي هذا السياق وظّف الشعراء ما تحمله بعض الطيور من رموز موحية للتهكم والسخرية من أعدائهم وهم يفرون من المعركة، فقد توسّلوا بطير الحبارى، وهو طير بري يسبح وقت خوفه، ولا سيما إذا كان الصقر يلاحقه، وكذلك النعام وما يرمز إليه من سرعة الهروب والخوف والتشرد، فقد "تحسس الشعراء هذه الحال فيه واتخذوها وسيلة للسخرية من خصومهم"<sup>(١٣٥)</sup>.  
يقول أوس بن غلفاء معيّراً خصمه:

وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى

رَأَتْ صَفْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ<sup>(١٣٦)</sup>

وكذلك يتوسّل الشعراء بالطير للفخر بأمجادهم وأسلحتهم وحدة ذكائهم. وهذا راشد بن شهاب يشيد ببناء قصر من المجد يأوي إليه الضعيف وطالب العوض والصلة، إنه قصر شاق لا تبلغه الطيور:

ولعله من البدهي أن يرد ذكر الطيور في وصف مشاهد الصيد ورحلات القنص على خيولهم في أماكن الكالأ البعيدة قبل أن تصيح عسافيرها، كقول عبد المسيح بن عسلة: (باكرته قبل أن تلغى عسافره)<sup>(١٣٢)</sup>، وقول المرّار بن منقذ يحدد هدف صيدهم: (نبتغي صيداً نعاماً أو حُمُرًا)<sup>(١٣٣)</sup>.

ويشكّل فخر الشعراء بما يحققونه من انتصارات في أرض المعركة وما ينتج عنها من القتل وما ينسبونه لأعدائهم من هروب، وما يتميزون به من جرأة وذكاء، وما يقتنصه الفتیان من أوقات السعادة بمعاقرتهم الخمرة، كل ذلك كان مدعاة لذكر أنواع من الطيور البرية والبيئية أيضاً. وهذا ضمرة بن ضمرة يفخر بغلبته الأقران الذين يتركهم فريسة للطيور الجارحة:

وَقَرْنٍ تَرَكَتُ الطَّيْرَ تَحْجُلُ حَوْلَهُ

عَلَيْهِ نَجِيعٌ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ جَاسِدٍ<sup>(١٣٤)</sup>

<sup>(١٣٢)</sup> المفضليات ٣/٧٣.

<sup>(١٣٣)</sup> المفضليات ١٢/١٦. وينظر: الحارث بن حلزة ٤/٦٢ - ٦ حيث يفخر بصيده الطباء مشبهاً فرسه بصقر يلاحق الحمام. وينظر صيد النعام: الصيد والطرده في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، لعباس مصطفى الصالحي، المؤسسة الجامعية ببيروت، ١٩٨١، ١٢٦ - ١٢٩، حيث ورد ص ١٢٨: "النعام عند العرب صيد طيب، يأكلون لحمها، ويتخذون ريشها زينة، أو أوتار عصبها فيثبتون بها عظامها على رؤوس سهامهم ورماحهم".

<sup>(١٣٤)</sup> المفضليات ٨/٩٣. القرن: الكفء في الشجاعة. النجيع: الشديد الحمرة. الجاسد: اللازق. وينظر: عبد

المسيح بن عسلة ٣/٨٣ في سياق مماثل فقد أصبح أعداؤه القتلى طعاماً للنسور وغيرها من الضباع، وعلقة بن عبدة ٣٧/١١٩ في سياق تصوير الحرب، وما أصاب القوم في القتال، وكأن سحابة ذات صواعق شديدة أصابتهم بحيث لم تقدر الطيور على الطيران لفرعها، والمرقس الأكبر ٢٢/٥٤ يشيد بفارس منقض على خصومه انقضاض الصقر على صيده.

<sup>(١٣٥)</sup> الصيد والطرده في الشعر العربي ١٢٧.

<sup>(١٣٦)</sup> المفضليات ١٠/١١٨. وينظر ذو الإصبع ٢/٣١ حيث أورد التعبير (شالت نعامتنا) للدلالة على التفرق والتشرد، ومتمم بن نويرة ١٤/٦٧ حيث يذكر فرخ الحبارى في سياق تصوير ولد أرملة ضعيف الجسم متفرق الشعر.

أَشَمَّ طُوَالاً يَدْحَضُ الطَّيْرُ دُونَهُ

لَهُ جَنْدَلٌ مِمَّا أَعَدَّتْ لَهُ إِرْمٌ<sup>(١٣٧)</sup>

وهذا رجل من عبد قيس ينوّه بستان رمحه اللامع وقد غرسه في ظهر عدوه، فبدا له كأنه خرطوم نسر:

تَرَكَتُ الرُّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةِ

كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرٍ<sup>(١٣٨)</sup>

أما ربعة بن مقروم فينقلب إلى قطامي حاد النظر للفخر بمقدرته على صعود الجبال للوصول إلى المربأة ليستطلع تحركات خصومه:

وَمَرْبَأَةٌ أَوْفَيْتُ جُنْحَ أَصِيلَةٍ

عليها كما أوفى القَطَامِيُّ مَرْقَبًا<sup>(١٣٩)</sup>

(١٣٧) المفضليات ١٤/٨٦. الطوال: الطويل. يدحض: يزلق، والمراد أن الطير لا تبلغه. الجندل: الحجارة.

(١٣٨) المفضليات ٧/١٣. الصلا: وسط الظهر. الخرطوم: أراد به منقار النسر.

(١٣٩) المفضليات ١٥/١١٣. المربأة: الجبل يربأ عليه الربيثة، وهو الطليعة. أوفيت: علوت وأشرفت. الأصيلة: العشية. وجنحها: ميلها وتوليها نحو الغروب. المرقب: الموضع الذي يرقب عليه الصيد. وفي تفسير الصلة بين قوة النظر ورمزية الطيور يرى عبد الله الطيب أنه ليس بعسير على الفكر إدراك ذلك، فقد كان العرب "أهل صحراء يطلب فيها الورد من أماكن بعيدة. وقد كانوا يشاهدون ورود القطا، وضروب الحمام وتنقلها السريع من مورد إلى مورد. ولا يخفى ما بين هذا وقوة النظر وإبعاده من قرابة قريبة". ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، دار الآثار الإسلامية بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٩٨٩، ١٦١/٣.

ولقد كان نعت مجالس الخمرة والدعوة إليها مبكراً سبباً في ذكر بعض أنواع الطير. وهذا ثعلبة بن صُغير يفخر بشراء الخمرة وتقديمها للفتية قبل صياح الطير:

بَاكَرْتَهُمْ بِسَبَاءِ جَوْنِ دَارِعِ

قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لُغْوِ الطَّائِرِ<sup>(١٤٠)</sup>

وفخر ربعة بن مقروم بتقديم الخمرة لفتيانه وقت صياح الديك في أواخر الليل:

وَفَتَيَانِ صَدَقٍ قَدْ صَبَحَتْ سُلَافَةً

إِذَا الدِّيكُ فِي جَوْشٍ مِنَ اللَّيْلِ طَرَبًا<sup>(١٤١)</sup>

وعلى هذا النحو يفخر عبدة بن الطبيب بغدوه إلى تجار الخمر وقت صياح الديك أيضاً، ويفصل في تصوير مجلس الشراب وما فيه من تصاوير للدجاج والأسد:

إِذَا أَشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِهِ

لَدَى الصَّبَاحِ وَهَمَّ قَوْمٌ مَعَاذِيلِ

فِيهَا الدَّجَاجُ وَفِيهَا الأُسْدُ مُخْدِرَةً

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُرَى فِيهَا تَمَائِيلِ<sup>(١٤٢)</sup>

٣ \_ ولقد كانت مقدمة القصيدة التي يصف الشاعر فيها ديار الأحبة المقفرة ورحلته وما يرتبط بها من وصف الطريق وما يشاهده فيه، أو رحلة الضعائن مناسبة لذكر الطير. يقول

(١٤٠) المفضليات ١٧/٢٤. وقوله: (قبل لغو الطائر)

كناية عن التذكير.

(١٤١) المفضليات ١١/١١٣. صبحت: سقيتهم الصبح.

السلافة: خالص الشراب وأوله. جوش من الليل: قطعة من آخره.

(١٤٢) المفضليات ٦٧/٢٦، ٧١. المعازيل: العزل من

السلاح. مخدرة: في خدرها.

ولئن تلمّس بعض الباحثين علاقة بين الأطلال والحمام على أنها نتيجة تلقائية لعلاقة المرأة بها<sup>(١٤٥)</sup>، أو من يرى أن الشاعر الجاهلي جعل هذه الحيوانات الأليفة بديلاً عن الأحبة الذين سكنوا تلك الديار، وأن هذه الحيوانات توزّعت بين النعام والبقر والحمام<sup>(١٤٦)</sup>، فإنه من الواضح أن الشعراء لم يذكروا هذه الحيوانات الأليفة فحسب، وإنما ذكروا الحيوانات الضارية كالسباع أيضاً، كما في هذا النص السابق، كما أن بعض هذه الطيور يحمل دلالات رمزية، فقد كان يُضرب المثل بهداية القطا في المجهل، فقيل (أهدى من القطا)<sup>(١٤٧)</sup>. ولا شك أن صورة القطا ههنا لدى عميرة بن جعل "رمز، وقد يكون لا شعورياً لإحساس الشاعر بالحيرة في هذه الحياة. ولعل هذه الحيرة وما رافقها من مشاعر الضياع هي التي جعلت الشاعر يعتد بسلاحه الذي أعده لمواجهة الخصمين أو المجهول

<sup>(١٤٤)</sup> المفضليات ٤/٦٤. المرورا: أرض لا تثبت شيئاً ولا ماء فيها. يعتركان: يلتمس كل واحد منهما أكل صاحبه من الجذب.

<sup>(١٤٥)</sup> ينظر: الحمام في الشعر الجاهلي، لخولة محمد سمح زيدان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠١٦، ٦٨.

<sup>(١٤٦)</sup> ينظر: وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية،

لنوري حمودي القيسي، دار الإرشاد ببيروت، ١٩٧٠، ١٦.

<sup>(١٤٧)</sup> جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع، ١٩٦٤، ١٦٧/١، ٣٥٣/٢، وثمار القلوب ٤٨٢.

مَزْرَدِ بنِ ضِرَارٍ يَذْكَرُ مَعَاهِدَ مَحْبُوبَتِهِ سَلْمَى الَّتِي خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا فَسَكَنَهَا قَطِيعَ مِنَ النِّعَامِ الشَّبِيهِ بِرِجَالِ الْهِنْدِ مِنْ حَيْثُ السَّوَادُ وَالضَّمُورُ، وَهُوَ يَرْعَى شَجَرَ الْغُلَانِ وَالطَّلْحِ مَعَ وَلَدِهِ الظَّلِيمِ الشَّبِيهِ بِرِجْلِ يَجْنِي ثَمَرَ الشَّجَرِ:

مَعَاهِدُ تَرْعَى بَيْنَهَا كُلَّ رَعْلَةٍ

غَرَابِيبُ كَالْهِنْدِ الْحَوَافِي الْحَوَافِدِ

تُرَاعِي بِذِي الْغُلَانِ صَعْلًا كَأَنَّهُ

بِذِي الطَّلْحِ جَانِي غُلْفٍ غَيْرُ عَاضِدِ<sup>(١٤٣)</sup>

ويصف عميرة بن جعل ديار الحي التي مضت عليها سنون، فغفت آثارها، وأمست قفراً تأوي إليها الوحوش، حتى إن القطا، وهي المعروفة بالهداية والتبصر بمعالم الطريق لتحار فيها:

قَفَارٌ مَرُورَةٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا

يَظَلُّ بِهَا السَّبْعَانِ يَعْتَرِكَانِ<sup>(١٤٤)</sup>

<sup>(١٤٣)</sup> المفضليات ٤/١٥ - ٥. الرعلة: القطعة من النعام. غرابيب: شديدة السواد. الحوافي: حافية الأقدام. الحوافد: جمع حافد، وهو المتقارب الخطو. الغلان: جمع غال، بتشديد اللام، وهو شجر. وذو الغلان: منابته. ومثله ذو الطلح: والطلح شجره. تراعيه: ترعى معه. العلف: ثمر الطلح، وجانيه: آخذه من شجره. العاضد: القاطع الشجر، ويريد أنه يجنيه ولا يقطع شجره. وينظر: الأخنس بن شهاب ٣/٤١ في سياق تصوير منازل محبوبته التي وقف فيها بعد هجرتها، وما أوى إليها من نعام أشبه بالنساء الحواطب، والمرقش الأكبر ١/٤٧ في سياق تصوير الطول الدوارس التي يُرى فيها الطير. ولعله من الطريف أن عبدة بن الطبيب ٢/٢٦ يذكر الديك من أنواع الطير البيتي، إضافة إلى الفيل في تصوير الديار الجديدة لصاحبته خولة.

القادم<sup>(١٤٨)</sup>، ذلك أن الشاعر يتوعد خصمين له بالسلاح ويقوم بهجائهما.

وكان مما يتصل بمقدمة القصيدة التي يصور الشاعر فيها ديار المحبوبة وذكرها أن يتابع رحلته، عندما كان يرى أنه لاجدوى من الوقوف فيها، وهنا يبدأ بتصوير رحلته ومشاهداته في طريقه، كقول المخبّل السّدي يصف طريق سفره المقفر الطويل الذي يضل فيه المسافر، وما فيه من حفر القطا:

وَمُعَبَّدٍ قَلِقِ الْمَجَازِ كَبَا

رِي الصَّنَاعِ إِكَامُهُ دُرْمٌ

لِلْقَارِيَاتِ مِنَ الْقَطَا نُقْرٌ

فِي حَافَتَيْهِ كَأَنَّهَا الرَّقْمُ<sup>(١٤٩)</sup>

<sup>(١٤٨)</sup> شعرنا القديم والنقد الجديد ٣١٥.

<sup>(١٤٩)</sup> المفضليات ٢٢/٢١ - ٢٣. المعبد: الطريق المذل. قلق المجاز: لا يستقر فيه من جازه وسلكه، لأنه يصلح للمبيت. الباري: الحصير المنسوج. الصناع: الحاذق. الإكام: جمع أكمة، وهو النشز من الأرض. درم: من قولهم كعب أدرم، إذا كان اللحم قد وراه فلم يوجد له حجم. يقول: إكامه مستوية بأرضه، فهو أضل له. القاريات: التي تقرب الماء، والقرب: أن يكون بينها وبينه ليلة. النقر: الحفر التي ينقرها الطائر ليبيض فيها. الرقم: الدارات، وهي المواضع المستديرة من الرمل وغيره، ويريد أن هذا الطريق بعيد عن الماء، حتى إن القطا تبيت فيه. وينظر: عبدة بن الطبيب ١٤/٢٦ حيث ذكر بيض القطا في سياق تصوير طريق رحلته، وربيعه بن مفرود ٧/٤٣ حيث ذكر (الأصداء)، ومفرود (الصدى)، وهو ذكر اليوم في سياق مماثل.

ولعل الشاعر كان عمد إلى ذكر القطا المعروف برمز الهداية في الأماكن المقفرة ليدل على جرأته وقوة عزمته في ارتياد تلك الطريق المضللة البعيدة التي تبيت فيها القطا ليلتها قبل ورود المياه البعيدة.

ويتصل بهذه المقدمة كما أسلفنا تصوير رحلة الطعان على تلك الجمال القوية التي جللت بثياب التزيديت الموشاة بالحمرة، مما جعل الطير تناوشها وتضربها ظناً بها أنه لحم، كقول علقمة بن عبدة:

رَدَّ الإِمَاءِ جِمَالِ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوا

فَكُلُّهَا بِالتَّزِيدِيَّاتِ مَعْكُومٌ

عَقْلًا وَرَقْمًا تَظَلُّ الطَّيْرُ تَخْطُفُهُ

كَأَنَّه مِنْ دَمِ الأَجَوَافِ مَذْمُومٌ

فالطير كما يرى وهب رومية<sup>(١٥٠)</sup> في سياق

رؤيته لهذه المفضلية أنه نذير شؤم هذا الدهر ورمز له، ولا سيما أن علاقة الطير بالدم والحروب علاقة وثيقة في تاريخ الشعر العربي، وفي ثقافة أهله، ومن هنا فإن هذه الطير تحمل فكرة العدوان المتمثل بالدهر الذي يترصد بالشاعر<sup>(١٥١)</sup>.

<sup>(١٥٠)</sup> شعرنا القديم والنقد الجديد ٢٠٤ - ٢٢١.

<sup>(١٥١)</sup> هنا يُشار إلى صواب رؤية محمد النويهي: الشعر الجاهلي ٣٠٨ في تحليله لموضوع أسراب الطير التي ترافق رحلة الطعان وتظل في ارتفاع وانخفاض، "مواصلة هذه الحركة الرأسية السريعة الخاطفة، بينما القافلة بهوادجها الحمراء تواصل حركتها الأفقية الهادئة الرتيبة في سيرها عبر الصحراء الواسعة الممتدة"، فهذا ما يظهر أيضاً ترصد الدهر الدائم لرحلة الإنسان في حياته.

على التهادي والتقطاء فيه الإشعار بخلو البال وزهو الجمال وارتياح الهوى وخلاب الفتنة<sup>(١٥٥)</sup>.

وعلى هذا النحو كان الشعراء يحشدون في غزلهم رموز الدرّة والنعامه وبيضاها أو الدمى وبيض النعام، وغير ذلك من الرموز، ويعيدونها إلى جذور دينية قامت عليها رؤية أسطورية عند بعض الباحثين<sup>(١٥٦)</sup>.

ومن ذلك ما ذكره الأسود بن يعفر بعد أن شبه الحسنات البيض بالبدور والدمى:

وَالْبَيْضُ يَرْمِينُ الْقُلُوبَ كَأَنَّهَا  
أُدْحِيٌّ بَيْنَ صَرِيمَةٍ وَجَمَادٍ<sup>(١٥٧)</sup>

فهو يشبههن في بياضهن ونعومتهم ببيض النعام الذي تضعه في ذلك الموضع الذي تدحوه في قطعة غليظة من الأرض لتبيض فيه، ذلك أن "بيضة النعام تمثل صورة من صور الشمس وقرينا للمرأة الأم"<sup>(١٥٨)</sup>.

<sup>(١٥٥)</sup> المرشد إلى فهم أشعار العرب ٣/٣٥٥.

<sup>(١٥٦)</sup> ينظر في تفسير وصف المرأة بوصفها المرأة

المثال ورموزها من دمية وحمام: الحمام في الشعر الجاهلي ٥٤ - ٥٥.

<sup>(١٥٧)</sup> المفضليات ٤٤/٢٦. الأدهي: الموضع تدحوه

النعامه برجلها لتبيض فيه. أراد: كأنها بيض أدهي. "بين" بالخفض، مضاف إلى أدهي. الصريمة: القطعة من الرمل. الجماد: ما غلظ من الأرض وارتفع، لم يبلغ أن يكون جبلاً.

<sup>(١٥٨)</sup> الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني

الهجري (دراسة في أصولها وتطورها): لعلي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨١، ١٤٥. وجاء في ص ١٤٩: "أما الجذور الدينية التي تعود إليها صورة الظليم، فهي

٤ \_ ولقد كان للغزل والتشبيب بالمرأة نصيب جوهرى من ذكر الطير، ولا سيما القطاة<sup>(١٥٢)</sup>،

ذلك أن العرب تصف القطا بحسن المشي لتقارب خطاها، ومشيتها يُشبهه مشي النساء الخفريات بمشيتهن"<sup>(١٥٣)</sup>. ولا شك أنهم أرادوا بهذه المقارنة أيضاً إظهار ملامح اللطافة والنعومة والدلال والوقار. يقول المرار بن منقذ:

قُطِفُ الْمَشِيِّ قَرِيْبَاتِ الْخُطَى  
بُذْنًا مِثْلَ الْعَمَامِ الْمُزْمَخِرُ  
يَتَرَاوِرُنْ كَتَقَطَاءِ الْقَطَا  
وَطَعِمَنْ الْعَيْشَ حُلُوءًا غَيْرَ مُرٍّ<sup>(١٥٤)</sup>

فقد أبرز الشاعر جمالية المشي المليح في صاحبتة ذات العيش الناعم الحلو، فهي مقاربة الخطو كالقطاة، إضافة إلى وصفها بالعمام المرتفع، وهذا أدعى لصفائه ورقته وبيضاؤه. لقد توصل الشاعر بلفظ "التقطاء ليدل على ما تفعله القطاة من اختلاس قدميها، ثم فرّع بذكر ما هن فيه من نعمة ليسبغ إحياء غزلياً خاصاً

<sup>(١٥٢)</sup> ينظر في ذلك: توظيف القطا فنياً ٥١، وصورة القطاة ١٩٥ - ١٩٦.

<sup>(١٥٣)</sup> حياة الحيوان الكبرى ٣/٥١١. وجاء في الحيوان، للجاحظ، ط ١، ١٩٤٣، ٥/٥٧٦: "ويُشبهه مشي المرأة إذا كات سمينة غير خراجة طوافة بمشي القطاة في القرمطة والدل"، أي في تقارب خطوها ووقارها وحسن سيرتها وطريقتها.

<sup>(١٥٤)</sup> المفضليات ١٦ / ٥٩ - ٦٠. قطف: جمع قطف، وهي المتقاربة الخطو. المزمخر: المرتفع، وإذا ارتفع الغمام رق وصفا وبيض. تقطاء: من القطو، وهو تقارب الخطر.

ويقول المخبّل السعدي في وصف صاحبتة، فهي كالبرديّة والصحيفة والدرة :

أَوْ بَيْضَةَ الدَّعْصِ الَّتِي وُضِعَتْ

فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لِمَسِّهَا حَجْمٌ

سَبَقَتْ قَرَائِنَهَا وَأَدْفَأَهَا

قَرْدُ الْجَنَاحِ كَأَنَّهُ هِذْمٌ

وَيَضُمُّهَا دُونَ الْجَنَاحِ بِدَفِّهِ

وَتَحْفُهُنَّ قَوَادِمٌ قُتْمٌ<sup>(١٥٩)</sup>

فهو يشبهها ببيضة نعام ملساء لا تحتوي

على عظم ناتئ، فهي أول بيضة تبيضها

النعامة، وقام على احتضانها ورعايتها ظليم نو

ريش كثيف، "ولا شك أن الشعراء حين يشبهون

المرأة بالبيضة يضمنون ذلك التشبيه أنفسهم

بالظلم الذي هو الحاضن"<sup>(١٦٠)</sup>.

ولقد كان مما يتصل بالغزل والتشبيب حديث

الشعراء عن ذهاب شبابهم وانتشار الشيب في

شعرهم، وظهور الصلع في رؤوسهم، وهنا

بعيدة المنال، وإن كنا لا نشك في وجودها أسوة  
ببدائلها السابقة".

<sup>(١٥٩)</sup> المفضليات ٢١ / ١٦ - ١٨. الدعص: الجبيل

من الرمل. الحجم: النتوء، يريد أنه ليس لها عظم

ناتئ. سبقت قرائنها: يقول: هي أول بيضة باضت

النعامة. قرد الجناح: يريد ذكر النعام. والقرد:

المتكاثف من الريش. الهدم: الكساء الخلق الملقى،

جمعه أهدام وهجوم. الدف: الجنب، أي يضم الظلم

البيضة بجناحه إلى دفه يكتنّها. تحفهن: تكون

حولهن، يعني البيض. القوادم: أوائل الريش من

الجناح. القتم: الغبر، من القتام، وهو الغيرة.

<sup>(١٦٠)</sup> المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

.٤٣١/٣

يتوسّل هؤلاء الشعراء بذكر بعض أنواع الطير

كالغراب والقطاة والحجل. فالمرقس الأكبر يبكي

شبابه ويشكو ما أصابه من الشيب والصلع،

ويحزن، فهو ليس كالغراب الذي لا يشيب:

هَلْ يَرْجِعَنَّ لِي لِمَتِّي إِنْ خَصَبْتُهَا

إِلَى عَهْدِهَا قَبْلَ الْمَشِيبِ خِضَابُهَا

رَأَتْ أَقْحُونَ الشَّيْبِ فَوْقَ خَطِيطَةٍ

إِذَا مُطِرَتْ لَمْ يَسْتَكِرَنَّ صُؤَابُهَا

فَإِنْ يُظْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَهَذَا تَرَى

بِهِ لِمَتِّي لَمْ يُزِمَّ عَنْهَا غُرَابُهَا<sup>(١٦١)</sup>

إنه يتساءل عما إن كان الخضاب بمقدوره

أن يعيد إليه سواد شعره، ويشبهه شيب رأسه

بنبت الأقحوان الأبيض فوق رأسه الأصلع الذي

لا يجد القمل مكاناً فيه يضع بيضه، ويقرّ

استحالة عودة السواد لشعره، فهو ليس كالغراب

الذي كان ارتباطه "بالشيب واضحاً عند شعراء

الجاهلية، فقد كان بياض الشعر لوناً مشؤوماً

كرهه العرب ونفروا منه في الرجل والمرأة على

حدّ سواء، فالشيب عيب يشين صاحبه لأنه

ينذر بالموت واقتراب الأجل، والغراب نذير شؤم

كذلك، واستخدام الشعراء الغراب في موضوع

<sup>(١٦١)</sup> المفضليات ٥٣ / ١ - ٣. الأقحوان: نبت له زهر

أبيض، وهو البابونج. الخطيطة: أرض لم تمطر بين

أرضين ممطورتين، شبه بها رأسه لأنه لا شعر فيه

كالخطيطة لا نبت فيها، إذ فقدت المطر. الصؤاب:

بيض القمل. لم يستكن: لم يجد شعراً يأوي إليه.

وينظر سلامة بن جندل ١/٢٢ - ٢ حيث يأسف

لذهاب شبابهِ سريعاً، ويقرّ استحالة اللحاق به، ولو

أمكن لهذا الشباب أن يلحق به، لأدركه معتمداً على

سرعة ذكر الحجل، ولكنه لا يُدرك.

وواضح أنه يشير إلى الحمام المنتشر بين الغصون، وإلى الهديل مما يسبب له هيجان ذكرى أخيه مالك، فيتجدد حزنه محدثاً الشقوق في صدره. ذلك أنه "من رموز الشوق والحنين الحمامة. ورمزية الحمامة كما وقعت في ضروب الشعر العربي متعددة الجوانب كثيرة الأصول والفروع. ذلك بأن الحمامة رمز للمأوى ورمز للورد ورمز للنظر ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة"<sup>(١٦٦)</sup>.

وهذا المرار بن منقذ يعبر عن لوعة الفراق والبعد عن صاحبه، ويؤكد وفاءه لذكرها طوال الدهر:

مَا أَنَا الدَّهْرَ بِنَاسٍ ذَكَرَهَا

مَا عَدْتُ وَرَقَاءَ تَدْعُو سَاقَ حُرِّ<sup>(١٦٧)</sup>

ذلك أن بكاء "الحمامة على ساق حر في خيال الجاهلي ثابت على الأيام لأنه ظلّ يردد زمناً طويلاً، وهذه دلالة الوفاء والحب، لذا

الشيب للتعبير عن استحالة وقوع الأمر"<sup>(١٦٢)</sup>. وترد صورة أفحوص القطا في سياق الحديث عما أصاب الرأس من صلح الرأس، ذلك أنها "تجيء إلى الموضع اللين من الأرض فتفحصه، وتملمسه ثم تدير حوله تراباً، فتبيض على غير عش"<sup>(١٦٣)</sup>، وهذا بشر بن أبي خازم يشير إلى صلعه، غير أنه يؤكد أن ذهاب شعره لم يكن لوقوعه في الأسر، وجز ناصيته على طلب الثواب، كما كانوا يفعلون بالأشراف الذين يقعون في أسرهم:

رَأْتِنِي كَأَفْحُوصِ الْقَطَاةِ ذُوَابَتِي

وَمَا مَسَّهَا مِنْ مُنْعِمٍ يَسْتَنْبِيئُهَا<sup>(١٦٤)</sup>

٥ \_ لقد نُظِرَ إلى الحمام على أنه مثير للأشجان وباعث على الأحزان ومهيج على لوعة الفراق، ولذا تم توظيفه في رثاء الأحبة وبكائهم، أو الحنين إليهم لبعدهم وفراقهم، كما يعبر مُتَمِّم بن نُويرة عن أرقه في ليله لذكرى أخيه بقوله:

إِذَا رَقَأَتْ عَيْنَايَ ذَكَرْتَنِي بِهِ

حَمَامٌ تَنَادَى فِي الْغُصُونِ وَفُوعُ

دَعَوْنَ هَدِيلاً فَاخْتَرَنْتُ لِمَالِكٍ

وَفِي الصِّدْرِ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِ صُدُوعُ<sup>(١٦٥)</sup>

<sup>(١٦٥)</sup> المفضليات ٧/٦٨ - ٨. رقأت: ذهب دمعها.

احتزنت: افتعلت من الحزن. الصدوع: الشقوق.

<sup>(١٦٦)</sup> المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

١٥٢/٣. وينظر في ارتباط الحمامة بالفراق

والغربة: مخاطبة الطير في الشعر العربي، حتى

نهاية القرن الخامس الهجري، لحمد بن علي

الهاشمي، أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة

المكرمة، ٢٠١٤، ٢٣.

<sup>(١٦٧)</sup> المفضليات ٩٥/١٦. ساق حر: الحر فرخ

الحمام، وقيل الذكر منها، وساق حر: الذكر من

القَمَارِيِّ، ويقال ساق حر: صوت القَمَارِيِّ.

<sup>(١٦٢)</sup> الغراب في الشعر الجاهلي، لعلي عبد العزيز

علي أبو سنية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح

الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٢، ٦٥. وينظر

ارتباط الشباب بسواد الغراب على الرغم من التشاؤم

به: الطبيعة في الشعر الجاهلي ١٩٢.

<sup>(١٦٣)</sup> الطبيعة في الشعر الجاهلي ٢٨٩.

<sup>(١٦٤)</sup> المفضليات ٧/٩٦.



هذا ولم يقتصر الأمر على الغراب وما يحمله من دلالات الشؤم والبلاء والخيانة والبين والغربة والحزن والخوف<sup>(١٧٢)</sup>.

فقد كان من عادة العرب العيافة، وهي "زجر الطير والتقاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها"<sup>(١٧٣)</sup>، أو التشاؤم. وهنا يبرز لفظان هما البارح والسائح، فالبارح ما مرّ من الطير أو الوحش من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تتحرف، والسائح ما مرّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به، لأنه أمكن للرمي والصيد. وهذا عوف بن عطية يفخر بقومه مظهراً تقّتهم بأنفسهم، وعدم اعتمادهم على العيافة:

نَوْمُ الْبِلَادِ لِحُبِّ اللَّقَاءِ

وَلَا نَتَّقِي طَائِراً حَيْثُ طَارَا

سَنِحاً وَلَا جَارِيّاً بِأَرْحاً

على كَلِّ حَالٍ نُلَاقِي الْيَسَارَا<sup>(١٧٤)</sup>

<sup>(١٧٢)</sup> يقول الجاحظ: الحيوان، ٤٤٣/٣: "فالغراب أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا مما يتطيرون به شيئاً ذكروا الغراب معه؟ فهو المقدم في الشؤم". وينظر في موضوع الغراب وما يرمز إليه: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ١٨٩ - ١٩٢، الحيوان في الشعر الجاهلي، لحسين جمعة، دار مؤسسة رسلان بدمشق، ٢٠١٠، ط ٢، ١٥٥، وصورة الحيوان والطيور في القرآن الكريم ٣٤، والمرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ١٥٤/٣.

<sup>(١٧٣)</sup> اللسان (عاف). وفي القاموس (عاف): "عفت الطير أعيفها عيافة: زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقتها وأنوائها فتنسعد أم تنتشاءم. والعائف: المتكهن بالطير أو غيرها".

<sup>(١٧٤)</sup> المفضليات ٢٦/١٢٤ - ٢٧.

أصبح نموذجاً للتمثل<sup>(١٦٨)</sup>، كما أن الحمامة أصبحت عند العرب "علماً للمأوى والرجاء وانتظار الأوبة والوداعة وحسن الخلق والزينة والبهجة"<sup>(١٦٩)</sup>.

٦ \_ لقد شكّل بعض أنواع الطير عنصراً أساسياً في بعض معتقدات العرب القدماء، كالعيافة وما يتصل بها من تشاؤم أو تقاؤل. ولعل الغراب يرد في مقدمة الطيور التي كانت رمزاً للشؤم حتى ضرب المثل به، فقيل (أشأم من غراب)<sup>(١٧٠)</sup>.

وهذا علقمة بن عبدة يحذر من زجر طير الغراب، فمن يفعل ذلك فلا بد من أن يصيبه شؤم، وإن سلم، فهو يقول:

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغِرْبَانِ يَزْجُرْهَا

على سلامته لا بُدَّ مَشْؤُومٍ<sup>(١٧١)</sup>

<sup>(١٦٨)</sup> الطير في الشعر الجاهلي: لعبد القادر الرباعي،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ط١،

١٩٨٩، ٤٢ نقلاً عن صورة الحيوان الطير في

القرآن الكريم ٣١.

<sup>(١٦٩)</sup> المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ١٥٥/٣.

<sup>(١٧٠)</sup> اللسان (غرب). يُذكر أن ارتباط الغراب بفكرة

الفراق والتشاؤم يعود إلى أصول دينية راسخة في

فكر الشاعر الجاهلي، فكونه رمزاً للشؤم والقطيعة

يعود لارتباطه بالموت والدفن والقبور، وذلك مستمد

من قصة قابيل وهابيل، وكان رمزاً لما يذهب ولا

يعود في قصة نوح عليه السلام، وهذه إشارات

ميثولوجية عبر عنها الشعراء في أشعارهم". ينظر:

الغراب في الشعر الجاهلي ٩٤. ومن هنا اشتقوا

من اسمه الغربة والاعتراب والغريب، وتشاءموا من

صياحه واعتبروا هذا الصياح نذير البعد". ينظر:

الطبيعة في الشعر الجاهلي ١٩٠.

<sup>(١٧١)</sup> المفضليات ٣٧/١٢٠.

في الشعر العربي القديم<sup>(١٧٨)</sup>، فهو يجسد المرحلة الأولى من مرحله<sup>(١٧٩)</sup>، ولعل تعلق

فقومه لا يبالون بزجر الطير وحركته لأنهم لا يتطيرون، فهم ذوو إرادة قوية ينفذون ما عقدوا العزم عليه.

<sup>(١٧٨)</sup> يجدر بنا الإشارة هنا إلى أننا ننطلق في فهم التصور الفني استناداً إلى ما يُعرف بالصورة البيانية التي كان التشبيه عمادها الأساسي في الشعر الجاهلي، إضافة إلى الاستعارة والكناية. ذلك أن بعض الباحثين يجعل عناصر التشكيل الشعري كلها من فكرة وشعور ولغة وموسيقا وخيال تتضوي تحت مصطلح الصورة الشعرية. ينظر: مفهوم الصورة الشعرية قديماً: للأخضر عيكوس، بحث في: مجلة الآداب بجامعة قسنطينة، الجزائر، العدد ٢، ١٩٩٥، ٧١. كما يجدر بنا التنويه إلى أننا لن نقف عند تفاصيل الصورة الفنية من حيث مصادرها ومعطياتها وأنماطها ونوعيتها وحجمها وأدواتها، أو ما بات يُعرف بالصورة الرمزية أو

وكان مما له علاقة بمعتقدات العرب القائمة على الطير ذكرهم للهامة، فقد تصوروا أن روح القتيل تبقى هائمة على هيئة طائر يخرج من هامة القتيل مطالباً بالسقي أي الأخذ بالثأر<sup>(١٧٥)</sup>. يقول ذو الإصْبَعِ العَدَوَانِيّ مخاطباً قريبه ومهدداً إياه بالقتل فتخرج من رأسه الهامة:

يَا عَمْرُو إِنَّ لَا تَدَعُ شَنْمِي وَمَنْقَصَتِي  
أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي<sup>(١٧٦)</sup>

#### المحور الثالث: صور الطيور الفنية

أنا لن نقف عند تفاصيل الصورة الفنية من حيث مصادرها ومعطياتها وأنماطها ونوعيتها وحجمها وأدواتها، أو ما بات يُعرف بالصورة الرمزية أو التقريرية أو الذهنية أو الحقيقية، حيث تتشكل صورة دالة على خيال خصب على الرغم من أن العبارات حقيقة الاستعمال، إلا ما كان مفيداً، ولأن قسماً كبيراً من هذا ما مرّ بنا في سياق الحديث عن الدلالات والموضوعات والرموز. ينظر في ذلك صفحات مختلفة من مصادر عدة، ومنها: الصورة الفنية في المفضليات (أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية): لزيد بن محمد الجهني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، رقم الإصدار (٥٧)، السعودية ١٤٢٥ هـ.، والصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: لنصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى بعمّان، ط ٢، ١٩٨٢، والصورة في الشعر العربي: لعلي البطل، والقصيدة الجاهلية في المفضليات، لمي خليف، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٨٩.

يُعد التصوير الفني وسيلة من أبرز وسائل الفن الشعري لنقل التجربة الشعرية، فليس "ثمة شعر بدون صور فنية، فالصورة في الشعر كالشمس في الحياة"<sup>(١٧٧)</sup>، وذلك نظراً لما له من أثر كبير في تثبيت الأفكار والإحساس بها. ويأتي التشبيه في مقدمة وسائل التصوير الفني

<sup>(١٧٥)</sup> ورد في المقابيس (هام): "وأما الهامة في الطير فليست طيراً، إنما هو شيء كما كانت العرب تقوله، كانوا يقولون: إن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتزقو، تقول: اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت". وينظر حول الموضوع: صورة الحيوان والطير ٣٤.

<sup>(١٧٦)</sup> المفضليات ٣/٣١. وينظر: أوس بن غلفاء ١٢/١١٨ حيث يجعل للهامة أمّاً تهويلاً لكبرها. <sup>(١٧٧)</sup> الصورة الفنية معياراً نقدياً: لعبد الإله الصائغ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧، ١٥.

<sup>(١٧٩)</sup> ينظر: دراسات في الشعر الجاهلي، ليوسف خليف، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٨١، ٧٤.

الشعراء به أنه "يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً"<sup>(١٨٠)</sup>، ويحقق لهم من خلال أغراضه الميل إلى ما يسميه نجيب البهيتي المثالية التي يقصد بها "التسامي في تصور الأمور وتصويرها، والتعلق بالجميل من كل شيء، وإدراك العلاقة بين مظاهر الجمال في الكون، واختيار بعضها للتعبير عن البعض الآخر"<sup>(١٨١)</sup>، أو ما يطلق عليه محمد النويهي من أثر في "زيادة وعينا بحياتنا وتجاربنا، وفي الترقى بانفعالاتنا الحسية نفسها، إذ ينقلها من مجال الواقع العادي إلى مجال الانفعال الفني المتعاطف"<sup>(١٨٢)</sup>.

لقد جسد شعراء المفضليات صور الطير معتمدين على وسيلة التشبيه من وسائل التصوير البياني، سواء أكانت بوصفها الطرف الأول، أي المشبه، أو بوصفها الطرف الثاني، أي المشبه به:

#### أولاً: الطير بوصفها الطرف الأول/ المشبه

شبه شعراء المفضليات الطير بما وقعت عليه أعينهم في بيئتهم من عناصر توزعت على دائرتين؛ الأولى تحتوي على عالم الإنسان وما يتحلّى به من هيئة خارجية وداخلية (٦ صور).

أما الثانية فتشمل عالم الطبيعة الصامتة وما تزخر فيه من نواقيس وقوارير وأقواس وملابس وأصول الشجر وأوراقها ودفعات المطر (٧ صور)، والمتحركة من حيوان كالبهيم والإبل أو طائر الماء (صورتان).

ولعل أول ما يستنتج من محور دراستنا الثاني المتعلق بموضوعات الطيور ورموزها أن شعراء المفضليات لم يفرّدوا حيزاً واسعاً لصورة الطير، بحيث تشكل وحدة معنوية مستقلة تنتظم في بنية القصيدة، ما عدا صورة النعام في مفضلية كل من علقمة بن عبدة وثعلبة بن صُعير، إضافة إلى أن هذا المحور يظهر أيضاً أن الطير لم يأت بوصفه الطرف الأول أي المشبه في عملية التصوير الفني إلا نادراً، ولعل السبب في هذا أن الحديث عنه لم يكن مقصوداً لذاته في أغلب الأحيان كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة حديثنا عن الموضوعات، وذلك ما عدا النعام الذي كاد أن يستأثر في عملية التصوير الفني بوصفه الطرف الأول/ المشبه بعناية شعراء المفضليات، فقد ورد له ست عشرة صورة، في مقابل صورتين للقطا والبوم. وقد كان لعلقمة بن عبدة النصيب الأكبر من هذه الصور، فله (٨ صور)، ولثعلبة بن صُعير (٣ صور)، ولمزرد بن ضرار (صورتان)، ولكل من الأخنس بن شهاب والمخبل السعدي وعبدة بن الطبيب صورة واحدة. وهذا الإحصاء لصور النعام يؤكد ما ذهب إليه ابن الأعرابي من أنه ما "وصف

(١٨٠) كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تح علي

محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار

إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٩٥٢، ٣٦٨.

(١٨١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث

الهجري، لنجيب محمد البهيتي، مطبعة دار الكتب

المصرية بالقاهرة، ١٩٧٠، ٨٢.

(١٨٢) الشعر الجاهلي ٣٩٨.

به<sup>(١٨٥)</sup>، وترعى جانبه، وهذا ما نص عليه بلفظ الصَّغْل الذي جعله شبيهاً بجاني ثمر الطلح، فهو يرعاه ولا يقطع شجره.

ويتوسل علقمة بن عبدة بالإنسان الفزع المروّع في تصوير سرعة الظليم بحيث كاد ظفره أن يشك عينيه، وكذلك بالإنسان الحذر عندما أخذ يطوف حول أدحيّه مستكشفاً خشية أن يكون هناك رقيب إنسي أو وحشي، وكما يلجأ إلى الروم الذين يتراطنون في قصورهم لإظهار إنقراض هذا الظليم ونقنقته لفراخه وزوجه التي أخذت تحفه، وبهذا يقدم صوراً بصرية سمعية، وذلك بقوله:

يَكَادُ مَنْسُمُهُ يَحْتَلُّ مُقْلَتَهُ

كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومٌ

فَطَافَ طَوْوْفَيْنِ بِالْأُدْحِيِّ يَقْفَرُهُ

كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخْسِ مَشْهُومٌ

يُوجِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَنَقْنَقَةِ

كَمَا تَرَاظَنَ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ<sup>(١٨٦)</sup>

ويأبى ثعلبة بن صعير أن ينهي صورة النعامة دون أن يضفي عليها من سمات المرأة وما تحمله من مشاعر الأمومة ودلالاتها، فقد شبه تلك النعامة التي جاءت مسرعة من المرعى مشتاقاً لحضن بيضها قبل هبوط الظلام بامرأة بقوله:

فَبَنَّتْ عَلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ خِبَاءَهَا

كَالْأَحْمَسِيَّةِ فِي النَّصِيفِ الْحَاسِرِ<sup>(١٨٧)</sup>

<sup>(١٨٥)</sup> الصورة الفنية في المفضليات ٧١٧.

<sup>(١٨٦)</sup> المفضليات ١٢٠/٢٣، ٢٦، ٢٨. ينظر شرح

المفردات في الحاشية ١٠١.

أحد النعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عبدة<sup>(١٨٣)</sup>.

لقد أراد الشعراء تجسيد لون النعام وتشخيص دقة ساقيه وضعف بنيته ومشيه المطمئن الثقيل، وما يصدر عنه من أصوات، وما يتصف به من سلوك كالحذر والتوجس والخوف وما يحمله من مشاعر الأمومة، فتوسلوا بالإنسان ليكون الطرف الثاني في عملية التصوير الفني، وليكون معادلاً موضوعياً لذلك. يقول مزرد بن ضرار يذكر معاهد محبوبته سلمى التي خلت من أهلها فسكنها قطيع من النعام الشبيه برجال الهند من حيث السواد والضمور، وهو يرعى شجر الغلان والطلح مع ولده الظليم الشبيه برجل يجني الثمر:

مَعَاهِدُ تَرَعَى بَيْنَهَا كُلَّ رَعْلَةٍ

غَرَابِيبُ كَالْهِنْدِ الْحَوَافِي الْحَوَافِدِ

تُرَاعِي بِذِي الْغُلَانِ صَعْلًا كَأَنَّهُ

بِذِي الطَّلْحِ جَانِي عُفْفٍ غَيْرُ عَاضِدِ<sup>(١٨٤)</sup>

فقد شبه النعام لسواده ودقة ساقيه بالهند الحفاة المتقاربي الخطو، وقد يراد بالحوافد من يكون له أحفاد، وهذا أدق في التشبيه لأن فيه دلالة على كبر السن وضعف البنية ودقة الساقين، وأن هذا النعام يصاحبه فراخه تحيط

<sup>(١٨٣)</sup> الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، تح إحسان

عباس وزميليه، دار صادر ببيروت، ط ٣،

٢٠٠٨، ٢٥٦/١٦.

<sup>(١٨٤)</sup> المفضليات ١٥/٤ - ٥. ينظر شرح المفردات في

الحاشية ١٤٤.

وواضح أنه يرسم صورة فم الظليم، فهو لاصق ليس بمفتوح، إذ لا تكاد ترى شذقه، ولا تستبين ما بين منقاريه، كأنه من خفائه شق في عصاً، ويرسم صورة عدوه السريع المتنوع، فيلوح صدره المقوس تارة كعود الغناء، وتراه تارة أخرى مثل البعير الطويل المطلي بالقطران الذي يسرع في عدوه، أو طائر الماء في آخر الروض، وكما يرسم صورة لفراخ النعام المجتمعة اللاصقة بالأرض، فيستعين بصورة أصول الشجر التي تسفي عليها الرياح التراب، ويجمع إليها ما تسفيه تلك الرياح حتى يغيبها، فتكون أكثر إشراقاً مما حولها من الروابي<sup>(١٩٠)</sup>، وينهي الشاعر صورته بمشهد الظليم وقد أرخى جناحيه ونشرهما على بيضه، فبدا كأنه بيت شعر أو صوف تصلحه امرأة خرقاء فمتى ترفعه يسقط، أو إذا ما رفعته من جانب يسقط من جانب آخر.

ويتوسل ثعلبة بن صعير بعالم الجماد أيضاً لإظهار سقوط ريش النعام وتناثره، ولإبراز سرعته:  
يَبْرِي لِرَائِحَةِ يُسَاقِطُ رِيْشَهَا  
مَرُّ النَّجَاءِ سَقَاطُ لَيْفِ الْأَبْرِ

(١٨٩) المفضليات ٢٤/١٢٠ - ٢٥، ٢٩. ينظر شرح

المفردات، الحاشية ١٠١.

(١٩٠) من الجدير ذكره ما أورده محمد النويهي: الشعر الجاهلي ٣٧١ - ٣٧٢ من تصوير فراخ النعام بأصول الشجر من أنه "أولاً حسي دقيق يصور لصوقها بالأرض، وما يكسو أجسامها العارية من تراب الأرض، ثم هو معنوي يصور ضعفها وعجزها وقلة حيلتها".

وواضح أنه يُخَيَّل إليه وقد غطت النعامه بجناحيها البيض أنها امرأة ذات مكانة رفيعة فهي من الحمس، إضافة إلى جمالها فقد كشفت رأسها ووجهها إِدْلالاً بحسنها.

وعندما أراد الأحنس بن شهاب أن يصور النعام في الديار الخالية، وهي مطمئنة تمشي ببطاء لم يجد سوى إماء الحي المحتطبات العائدات وقت العشي إلى أهاليهن، وقد أعين فهن يمشين بحملهن الثقيل، بقوله:

تَطَّلُ بِهَا زُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا

إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالْعِشِيِّ حَوَاطِبُ<sup>(١٨٨)</sup>

ولقد استند شعراء المفضليات إلى عالمي الجماد والحيوان أيضاً لإظهار جوانب حسية مختلفة من النعام، وهنا يتصدر علقمة بن عبدة هذه الصور أيضاً، حيث يقول واصفاً الظليم:

فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنُهُ

أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَضْلُومٌ

وَصَّاعَةٌ كَعِصِيِّ الشَّرْعِ جُوجُؤُهُ

كَأَنَّهُ بِنْتَاهِي الرَّوْضِ عُجُومٌ

يَأْوِي إِلَى حِسْكِ زُعْرِ حَوَاصِلُهُ

كَأَنَّهُنَّ إِذَا بَرَّكْنَ جُرْثُومٌ

صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُؤُهُ

بَيَّتْ أَطَافَتْ بِهِ خَرَقَاءُ مَهْجُومٌ<sup>(١٨٩)</sup>

(١٨٧) المفضليات ٢٤/١٤. ينظر شرح المفردات في

الحاشية ١٠٣.

(١٨٨) الأحنس بن شهاب: المفضليات ٤١/٣. تزجي:

تساق. الحواطب: اللاتي يحملن الحطب، وإنما خص العشي لأن الإماء المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن.

الأولى للمخبل السعدي يصف طريق سفره  
المقفر الطويل الذي يضل فيه المسافر، وما فيه  
من حفر القطا، بقوله:

لِلْقَارِبَاتِ مِنَ الْقَطَا نُقِرُّ  
فِي حَافَتَيْهِ كَأَنَّهَا الرَّقْمُ<sup>(١٩٤)</sup>  
فهو يصور حفر القطا وأفاحيصها لتبييض فيه  
بالمواضع المستديرة من الرمل وغيره للدلالة على  
بعد هذا الماء، ومن ثم الدلالة على بعد الرحلة  
وطول الطريق، فالقطا تقصد الماء، ولكن لا  
تلحقه فتبيت في الطريق، وتعرس فيه. وأما  
الصورة الثانية فهي لعبد بن الطبيب، وتحمل  
الدلالة نفسها على بعد الطريق في فلاة واسعة،  
بحيث إن القطا تضع فيها بيضها الذي يبدو في  
أفاحيصه كأنه قوارير صغار ملئت زيتاً:  
نَهَجِ تَرَى حَوْلَهُ بِيضَ الْقَطَا قُبُصاً  
كَأَنَّه بِالْأَفَاحِيسِ الْحَوَاجِئِ  
حَوَاجِلٌ مُلِئَتْ زَيْتاً مُجَرَّدَةً  
لَيْسَتْ عَلَيْهِنَّ مِنْ حُوصِ سَوَاجِلِ<sup>(١٩٥)</sup>

<sup>(١٩٤)</sup> المفضليات ٢٣/٢١. القاربات: التي تقرب الماء،  
والقرب: أن يكون بينها وبينه ليلة. النقر: الحفر  
التي ينقرها الطائر ليبيض فيها. الرقم: الدارات،  
وهي المواضع المستديرة من الرمل وغيره.

<sup>(١٩٥)</sup> المفضليات ١٤/٢٦ - ١٥. النهج: البين، أي  
الطريق. القبص: جمع قبصة، وهي ما أخذ  
بأطراف الأصابع. الأفاحيص: جمع أفحوص، وهو  
الموضع الذي تبيض فيه القطا. الحواجيل:  
القوارير، والواحدة: حوجلة. مجردة: أي أن هذه  
القوارير مجردة ليس عليها غلف. السواجيل: جمع  
ساجول وسوجل، وهو الغلاف.

فَتَرَوْحَا أَصْلًا بِشِدِّ مُهْذِبٍ  
تَرَّ كَشُؤْبُوبِ الْعَشِيِّ الْمَاطِرِ<sup>(١٩١)</sup>  
فهو يصور سقوط ريش النعام من شدة  
عدوها بليف النخلة المتساقط، وكذلك سرعة  
الظلم والنعام وهما يسارعان إلى ببيضهما  
بسرعة دفعة مطر شديدة.

ويأتي المخبل السعدي في وصف صاحبه،  
إضافة إلى الزديّة والصحيفة والدرة، إلى ذكر  
بيضة النعام التي أخذ الظلم الذي تكاثف عليه  
الريش فأشبهه الكساء الخلق الملقى، بضمها  
بجناحيه ناشراً الدفء والحنان:  
سَبَقَتْ قَرَائِنَهَا وَأَدْفَأَهَا

قَرِدُ الْجَنَاحِ كَأَنَّهُ هَدْمٌ<sup>(١٩٢)</sup>  
ومن التوسل بالحيوان لتصوير النعام ما جاء  
به عبد بن الطبيب من تصوير أولاد النعام في  
مكان خصب، وقد اختلطت بالبقر الوحشي  
بصغار الأغنام للدلالة على الكثرة، حيث يقول:  
كَأَنَّ أَطْفَالَ خَيْطَانِ النَّعَامِ بِهِ

بَهُمْ مَخَالِطُهُ الْحَقَّانُ وَالْحَوْلُ<sup>(١٩٣)</sup>

ويضاف طائر القطا واليوم إلى النعام الذي  
تبولأ المكانة الأولى كما رأينا بوصفه الطرف  
الأول/ المشبه، وقد انفرد القطا بصورتين،

<sup>(١٩١)</sup> المفضليات ١٠/٢٤ - ١٣. ينظر شرح المفردات،  
الحاشية ١٠٣.

<sup>(١٩٢)</sup> المفضليات ٢١/١٧. سبقت قرائنها: يقول: هي  
أول بيضة باضت النعام. قرد الجناح: يريد ذكر  
النعام. والقرد: المتكاثف من الريش. الهدم: الكساء  
الخلق الملقى، جمعه أهدام وهدم.

<sup>(١٩٣)</sup> المفضليات ٢٦/٥٩. الخيطان: جمع خيط، وهو  
جماعة النعام. البهم: أولاد الغنم.

وشبابه وقوله دون فعله، وضعف جسم من كان صغير السن من الأولاد، وكذلك للدلالة على المرأة من حيث إبراز لون بياضها وتقارب خطوها وملاحظتها.

لقد أراد الشاعر تجسيد سرعة الإنسان الذي أيقن ألا سبيل للنصر على عدوه، وكان لا بدّ من التفكير بوسيلة للنجاة، فكان اعتماده على سرعة جريه وشدة عدوه، وهذا تأبط شراً يصور ملاحقة خصومه له فانقلب إلى ما يُضرب المثل به في سرعة العدو، إلى ظليم مسرع أخذ ريشه يتناثر ويتكسر بقوله: (كأنما حنَّحَتْوَا حُصَاً قَوَادِمُهُ) (١٩٧).

وهذا الحارث بن وُغلة يفخر بنجاته من أعدائه الذين كانوا يلاحقونه، فقد انقلب إلى عقاب كاسر في حالة الانقضاض على صيده (١٩٨)، ويتوسع في تصوير هذه العقاب فهي سوداء ابتل ريشها بسبب المطر الغزير، فأخذ تسرع إلى وكرها، وكما يفخر بهروب قومه ونجاتهم في المفضلية نفسها، فقد انقلبوا إلى نعام متواتر العدو يلاحقه فارس:

(١٩٧) المفضليات ٦/١ . حثثوا: حركوا. القوادم: ما ولي الرأس من ريش الجناح. والحص: جمع أحص، وهو ما تتناثر ريشه وتكسر، وهو الظليم نكر النعام.

(١٩٨) لعله من الواضح أن العقاب هي المعادل الموضوعي للشاعر، وليس النعام كما ذكر (ينظر: النعام في المفضليات والأصمعيات، ص ٨٩)، ذلك أن النعام أصبح معادلاً موضوعياً لقوم الشاعر في البيت الثالث.

ويخصّ البوم بصورة سمعية للدلالة على فلاة غبراء موحشة كان المرقش الأكبر قد قطعها، ويتوسل هنا بصياح البوم الذي يخيل إليه أنه شبيه بصوت النواقيس بعد فترة من الهدوء، حيث يقول:

وَتَسْمَعُ تَرْقَاءَ مَنْ الْبُومِ حَوْلَنَا

كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِيسُ (١٩٦)

ثانياً: الطيور بوصفها الطرف الثاني/ المشبه به لئن كان ورود الطير بوصفه الطرف الأول/ المشبه في عملية التصوير الفني قليلاً، واقتصر بالدرجة الأولى على النعام، ومن ثم القطا والبوم، فإنه ورد بوصفه الطرف الثاني/ المشبه به بكثرة، واشتمل على أنواع الطير كافة من أليفة وصغيرة وبرية، وقد تبوأ النعام هنا أيضاً المكانة الأولى من حيث الانتشار والكثرة.

لقد ورد الطير بوصفه طرفاً ثانياً في التصوير الفني للشعراء ليكون معادلاً موضوعياً معبراً عن معان عدة للطرف الأول الذي تورّع على الإنسان والحيوان كالإبل والخيل والظباء على نحو متقارب، إضافة إلى الجماد الذي ورد مرة واحدة.

وتأتي المعاني المتعددة المتعلقة بالإنسان التي كان الطير بوصفه الطرف الثاني/ المشبه به يمثل فيها معادلاً موضوعياً لها للدلالة على الرجل من حيث السرعة وشدة العدو والخوف والهرب من الأعداء، أو سرعة انقضاض الفرسان على أعدائهم، وعلى كثرتهم، إضافة إلى دوام حزن الرجل وحدة نظره وصلعه وشبيهه

(١٩٦) المفضليات ٩/٤٧.

ولقد كان الطير معادلاً لسرعة الإنسان في  
انقضاضه على عدوه أيضاً، كقول المرقش  
الأكبر:

فَانْقَضَّ مِثْلَ الصَّقْرِ يَقْدُمُهُ

جَيْشٌ كَغُلَانِ الشُّرَيْفِ لَهُمْ (٢٠٣)

ولتجسيد صورة الجمع وكثرة الانتشار فقد  
شبه الشعراء كتيبة الجند المقاتلة بالطير، وهذا  
صَمْرَةُ بن ضمرة يفخر بصدّه مثل تلك الكتيبة  
وتفريقها، بقوله:

وَمُشْعَلَةٍ كَالطَّيْرِ نَهْنَهْتُ وَرَدَهَا

إِذَا مَا الْجَبَانُ يَدْعِي وَهُوَ عَانِدٌ (٢٠٤)

نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ  
كَأَنَّيْ عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرُ

حُدَارِيَّةٌ سَفَعَاءُ لَبَدَ رِيَشَهَا

مِنَ الطَّلِّ يَوْمَ ذُو أَهَاضِيْبَ مَاطِرُ

كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حُدْنَةُ دُونَنَا

نَعَامٌ تَلَاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرُ (١٩٩)

وليجسد الشاعر خوف الإنسان وجبته  
وسرعة فراره أمام عدوه، فقد توسلوا بطير  
الحبارى والنعام أيضاً، كقول أوس بن غلفاء:

وَهُمْ تَرَكَوْكَ أَسْلَحَ مِنْ حُبَارَى

رَأْتُ صَفْرًا وَأَشْرَدَ مِنْ نَعَامٍ (٢٠٠)

وواضح أنه يعير أحدهم بهزيمته وجبته  
وخوفه مصوراً إياه كالحبارى يلاحقها صقر، فلا  
تملك إلا أن تسلح عليه طلباً للنجاة<sup>(٢٠١)</sup>، وكما  
يضيف عليه صفة الشرود وسرعة التفرق  
فيصوّره كأنه النعام الهارب<sup>(٢٠٢)</sup>.

(١٩٩) الحارث بن ولة: المفضليات ٢/٣٢ - ٤. ينظر

شرح المفردات في الحاشية ١٢٨.

(٢٠٠) أوس بن غلفاء: المفضليات ١٠/١١٨.

(٢٠١) ينظر ما جاء في الحاشية ٢٦، ووحدة (الحبارى)

في المحور الأول من دراستنا.

(٢٠٢) ورد في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢٥٤/١:

"ولخفة النعام وسرعة طيرانها وهربها، قالوا في  
المثل: (شألت نعامتهم)، و(زفّ رألهم)، إذا هلكوا".

وينظر قول ذي الإصبع العدواني: المفضليات

٢/٣١ (أزرى بنا أننا شألت نعامتنا) في سياق

تصوير الشفاق بينه وبين ابن عم له. وهنا يجدر

ذكره أنه لا يمكن إطلاق حكم شامل بالقول "إن

النعام كان معادلاً للرجل في الجبن والخوف

والهرب، فكان مثلاً للجبن الذي يهجو من خلاله

الشعراء أعداءهم، ليكون نقيض النعام مصدر فخر

وعز للشاعر والقبيلة". ينظر: النعام في المفضليات  
والأصمعيات، ص ١٣٧. ولعل الأقرب إلى  
الصواب القول كما ذكرنا أن النعام كان معادلاً  
موضوعياً للسرعة المجردة التي يحددها السياق،  
سواء أكانت متعلقة بفخر أم ذم، فمن الواضح أن  
تأبط شراً وغيره كان في حالة الفخر بما يتصف به  
من عدو سريع، وهذا ما تم تأكيده بحق عندما تم  
التطرق في المصدر نفسه، ص ١٢٤ من أن  
"صورة النعام في هذه اللوحات الفنية التي رسمها  
الشعراء الصعاليك لعدوهم وسرعتهم، وشكلت  
مظهراً من مظاهر حياتهم، هي صورة النجاة  
والرجولة، فلم يمت أحدهم أو يسقط على طريق  
الفرار فالنعام علمهم كيف يستخدمون هذا السلاح،  
سلاح الحياة في معاركهم التي كانت تخلف المذلة  
والانكسار لعدائهم، وتحمل لهم بالمقابل نشوة  
الانتصار والفرح بسلامتهم، والفوز بمكاسبهم".

(٢٠٣) المفضليات ٢٢/٥٤.

(٢٠٤) المفضليات ١/٩٣. ينظر شرح المفردات في

الحاشية ١٣.



الحمام أيضاً<sup>(٢٠٧)</sup>، فقد شبهوا أنفسهم بالحمام الذي يستمر في نواحه فيحدث ما يحدث من شقوق في الصدر، كقول متمم بن نويرة مبرزاً نواحه الدائم على فراق أخيه:

إِذَا رَقَاتٍ عَيْنَايَ ذَكَرَنِي بِهِ

حَمَامٌ تَنَادَى فِي الْعُصُونِ وَفُوعُ

دَعْوَنَ هَدِيلاً فَاخْتَرَنَتْ لِمَالِكِ

وفي الصدر من وجدٍ عليه صدوع<sup>(٢٠٨)</sup>

ولإبراز ما أصاب الشعراء من صلع في رؤوسهم فقد توسلوا بأفحوص القطاة كقول بشر بن أبي خازم موضحاً لمحبوته أن السبب لا يعود إلى جز ناصيته فلم يكن أسيراً:

رَأَيْتُنِي كَأَفْحُوصِ الْقَطَاةِ ذُؤَابَتِي

وما مسها من منعمٍ يستثيبها<sup>(٢٠٩)</sup>

وكذلك توسل الشعراء بالغرراب عندما كانوا يتذكرون شبابهم، وما كانوا يتحلون به من سواد الشعر، كقول المرقش الأكبر:

فَإِنْ يُطْعِنِ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَقَدْ تَرَى

بِهِ لِمَتِّي لَمْ يُرَمَّ عَنْهَا غُرَابُهَا<sup>(٢١٠)</sup>

وكما توسلوا بصياح طير اليوم لتجسيد القول

دون الفعل في الإنسان، كقول سويد بن أبي كاهل معرضاً بصاحبه المنافق الذي يغتابه دون التمكن من إيقاع الضر به:

وعندما أراد الشعراء الدلالة على حدة نظرهم وذكائهم توسلوا بالطير، كقول ربعة بن مرقوم يفخر بصعوده أعلى الجبل يرقب تحركات الأعداء مشبهاً نفسه بالقطامي:

وَمَرْبَاةٍ أَوْفَيْتُ جُنْحَ أَصِيلَةٍ

عليها كما أوفى القطامي مرقباً<sup>(٢٠٥)</sup>

ولتصوير الشعراء بالغ حزنهم على فراق أحببتهم، وحنينهم الدائم على من فارقهم، فقد توسلوا بقصص ذات طابع رمزي أسطوري عندما شبهوا أنفسهم بالورقاء تدعو ساق حر، كقول المرار بن منقذ:

مَا أَنَا الدَّهْرَ بِنَاسٍ ذَكَرَهَا

مَا عَدَّتْ وَرَقَاءٌ تَدْعُو سَاقَ حُرٍّ<sup>(٢٠٦)</sup>

فالشاعر "يشبه نفسه في دوام تذكره بدوام تذكر الورقاء (القمرية) ذكرها، وهذا الرمز الذي يشير إلى الديمومة مبني على أسطورة يعلل بها العرب سبب نواح القمري بأنها لفقد ذكرها تظل دائمة النوح، ولعل هذه الأسطورة هي نفسها أسطورة (دعاء الهديل) التي يعلل بها بكاء

(٢٠٥) المفضليات ١٥/١١٣. ينظر شرح المفردات في الحاشية ١٤٠. وفي تفسير الصلة بين قوة النظر ورمزية الطيور يرى عبد الله الطيب أنه ليس بعسير على الفكر إدراك ذلك أن "العرب قد كانوا أهل صحراء يطلب فيها الورد من أماكن بعيدة. وقد كانوا يشاهدون ورود القطا، وضروب الحمام وتنقلها السريع من مورد إلى مورد. ولا يخفى ما بين هذا وقوة النظر وإبعاده من قرابة قريبة". ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ١٦١/٣.

(٢٠٦) المفضليات ٩٥/١٦.

(٢٠٧) الصورة الفنية في المفضليات ١٦٦.

(٢٠٨) المفضليات ٧/٦٨ - ٨. رقأت: ذهب دمعها.

احتزنت: افتعلت من الحزن. الصدوع: الشقوق.

(٢٠٩) المفضليات ٧/٩٦.

(٢١٠) المرقش الأكبر: المفضليات ٣/٥٣.

ويتوسل آخرون للدلالة على بياض المرأة بـ"بيضة النعام المكنونة التي خالطت بياضها صفرة، إما من الكنّ، وإما من ضوء الأصيل سطع عليها، وهذا أشبه لأن الظلم ... يقصد بيضه أصيلاً يبادر إليه غروب الشمس" (٢١٤) كقول المخبل السعدي الذي حشد إضافة إلى بيضة النعام الدرّة والدمية، وهي العناصر الكونة لصورة المرأة التمثال أو النموذج:

أَوْ بَيْضَةِ الدَّعْصِ التي وُضِعَتْ

في الأرضِ ليس لِمَسِّهَا حَجْمٌ (٢١٥)

وكذلك يضيف الأسود بن يعفر إلى جانب بيضة النعام البدر والدمية في تصويره النساء البيض الحسنات، فيقول:

والبِیضُ يَزْمِينُ القُلُوبَ كَأَنَّهَا

أُذْحِي بَيْنَ صَرِيمَةٍ وَجَمَادٍ (٢١٦)

ما تعمله القطاة من اختلاس قدميها، ثم فرع بنكر ما هن فيه من نعمة ليسبغ إحياء غزلياً خاصاً على التهادي. والنقطاء فيه الإشعار بخلو البال وزهو الجمال وارتداد الهوى وخلاب الفتنة". ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ٣/٣٥٥.

(٢١٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ٣/٤٣١. وهذا يتوافق مع ما ورد في دراسة مفصلة حول النعام من أن النعام كان معادلاً موضوعياً "للمرأة في الجمال والحسن والستر والصيانة، فكان لون بياض النعام المائل إلى الصفرة من أجمل الألوان التي تغنى بها العربي في وصف المعشوقة". ينظر: النعام في المفضليات والأصمعيات، ١٣٧. ويُذكر أن تم تأكيد هذه الصفة في نعت الحور العين، بقوله تعالى: "كأنهن بياض مكنون". القرآن الكريم، الصافات ٤٩.

(٢١٥) المفضليات ٦/٢١.

لَمْ يَضْرِنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسِدَنِي  
فَهُوَ يَزْفُو مِثْلَ مَا يَزْفُو الضُّوعُ (٢١١)  
وتوسلوا بطير الحبارى الذي تفرق شعره وتناثر ريشه ليكون معادلاً موضوعياً لولد أرملة أشعث ضعيف الجسم، كقول متمم بن نويرة:

وَأَرْمَلَةٌ تَمْشِي بِأَشْعَثِ مُحْتَلٍ

كَفَرْخِ الحُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعَا (٢١٢)

ولقد كانت أنواع من الطير كالقطاة والنعام معادلاً موضوعياً للدلالة على بعض جماليات المرأة من لون بياضها وتقارب خطوها وملاحظتها وحسنها. وهذا المرار بن منقذ يتوسل بطائر القطا للدلالة على تقارب خطو المرأة وتقل مشيتها ولطافتها، إضافة إلى تشبيهها بالغمام والدمية، حيث يقول:

قُطْفُ المَشِيِّ قَرِيْبَاتِ الخُطَى

بُدْنًا مِثْلَ العَمَامِ المُزْمَخِرُ

يَتَرَاوِرُنْ كَتَقْطَاءِ القَطَا

وَطَعْمَنَ العَيْشِ حُلُوءًا غَيْرَ مُرٍّ (٢١٣)

(٢١١) سويد بن أبي كاهل: المفضليات ٧٢/٤٠. يزقو: يصيح.

(٢١٢) المفضليات ٦٧/١٤. الأشعث: المتلبد الشعر، عنى به ولدها. المحتل: الذي أسيء غذاؤه. تضوع: تفرق، أراد شعره. وجاء في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢٢٢/١: "وشبهه بفرخ الحبارى، لأنه قبيح المنظر، منتف الشعر".

(٢١٣) المفضليات ١٦/٥٩ - ٦٠. قطف: جمع قطوف، وهي المتقاربة الخطو. المزمخر: المرتفع، وإذا ارتفع الغمام رق وصفا وبيضا. تقطاء: من القطو، وهو تقارب الخطو. ومن التفسير الصائب في قول الشاعر، أنه "استعمل التقطاء ليدل على

أما المعاني المتعلقة بالحيوان من الإبل والخيل والظباء، وهي المعاني التي كان الطير بوصفه الطرف الثاني/ المشبه به معادلاً موضوعياً لها، فهي تدل على شدة العدو وسرعة الانقضاض، تقارب الخطو، والدقة والصغر، وتغريد الصوت، والجمع والكثرة. ولقد اقتضرت هذه الدلالات على الإبل والخيل على نحو متقارب (الإبل ١٢ مرة، الخيل ١١ مرة)، إضافة دلالة واحدة تتعلق بالطير بوصفه المشبه.

لقد استأثرت الناقه باهتمام الشعراء الذين اتخذوها وسيلة لسفرهم وتفرج همومهم وتسليتهم، وكانت السرعة من أبرز الصفات المطلوبة فيها التي جسّوها في تصويرهم لها، وكان النعام من الطير معادلاً موضوعياً دلاليّاً للتعبير عنها، ذلك أن "الظليم معروف بالسرعة حتى إن الخيل لتعجز عن إدراكه، مما حدا بالشعراء أن يستغلوا فيه هذه الخصلة، فشبّوها به نياقهم أسوة بالحمار والثور الوحشيين" (٢١٨):

وَكأنَّ عَيْبَتَهَا وَقَضَلَفَتَانِهَا  
فَتَنَانٍ مِّنْ كَنَفِي ظَلِيمٍ نَافِرٍ (٢١٩)  
كَأَنَّهَا خَاضِبٌ رُّعْرٌ قَوَادِمُهُ  
أَجْنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرِيٌّ وَتَنُومٌ (٢٢٠)

هذا، ولم يقتصر شعراء المفضليات في تصويرهم الفني للإنسان على الطير الحقيقي ليكون معادلاً موضوعياً للمعاني التي يريدها كما رأينا، وإنما توسّلوا أيضاً بما كان شائعاً لديهم من معتقدات قديمة متعلقة بالطير، كطير الهام الذي كان يخرج من رأس القليل \_ حسب زعمهم \_ يصيح عند رأسه نادياً حتى يؤخذ بثأره. يقول أوس بن غلفاء:

وَهُمْ ضَرْبُوكَ ذَاتَ الرَّأْسِ حَتَّى  
بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ العِظَامِ  
إِذَا يَأْسُونَهَا نَشَرَتْ عَلَيْهِمْ  
شَرَنْبَتَهُ الأَصَابِعِ أُمُّ هَامٍ  
فَمَنْ عَلَيْكَ أَنْ الجِلْدَ وَارِي

عَثِيَّتَهَا وإِحْرَامِ الطَّعَامِ (٢١٧)  
فالشاعر يتوسل بالتشبيه عندما أراد تصوير شجة أصابت هامة خصمه بأمة هامة ليرز غلاظة أصابعها وهول منظرها، وأضفى عليها الحركة، ذلك أنهم عندما أرادوا معالجته طلعت عليهم، ولولا الجلد الذي يغطيها ومنعه من الشراب لبرزت عليهم كناية عن انتفاض جرحه وموته.

(٢١٦) المفضليات ٢٦/٤٤. ينظر شرح المفردات في الحاشية ١٥٩.

(٢١٧) المفضليات ١١/١١٨-١٣. ضربه ذات الرأس: أصاب أم رأسه. أم الدماغ: الجلدة التي تحيط بالدماغ وتجمعه. يأسونها: يعالجونها. نشرت: ارتفعت. شرنبته: غليظة. عثيتها: ما فسد منها. إحرام الطعام: منعه من شرب الماء، وكانوا يمتنعون من به جرح وترجي حياته أن يشرب الماء لئلا تنتفض جراحه فيموت.

(٢١٨) الصيد والطرود في الشعر العربي ١٢٧.

(٢١٩) ثعلبة بن صعير: المفضليات ٩/٢٤. العيبة: وعاء من جلد يكون فيه المتاع. الفتان: غشاء للرحل من جلد. الفنن: الغصن. كنف الظليم: جانباه، وأراد جناحيه.

(٢٢٠) علقمة بن عبدة: المفضليات ١٨/١٢٠.

المطلق مؤكداً الصورة التي يرسمها عن طريق هذا التكرار اللفظي<sup>(٢٢٥)</sup>.

ولقد أضاف الشعراء صفة تقارب الخطو وتتابع المشي إلى جانب السرعة، وكان النعام معادلاً موضوعياً للتعبير عن ذلك:

أَنْضِي الرِّكَابَ عَلَى مَكَارِهَا

بِزَفِيْفٍ بَيْنَ الْمَشْيِ وَالْوَضْعِ

بِزَفِيْفٍ نَقْنَقَةً مُصَلِّمَةً

قَرَعَاءَ بَيْنَ نَقَانِقِ قُرْعِ<sup>(٢٢٦)</sup>

وكذلك يتوسل الشعراء بالنعامة لتصوير

تقارب ركبتي الناقة اللتين يصك بعضهما بعضاً، فهي:

صَغَاءَ ذِعْلَبَةٍ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهَا

حَرَجٍ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا هُلُوعِ<sup>(٢٢٧)</sup>

ولقد كان من المألوف والبدهي أن يفخر

الشعراء بإبلهم مبرزين نجابتها بتسليط الضوء

<sup>(٢٢٥)</sup> القصيدة الجاهلية في المفضليات ٢٧٨.

<sup>(٢٢٦)</sup> بشامة بن عمرو: المفضليات ٧/١٢٢ - ٨.

أنضي: أهزل. الركاب: الإبل. مصلمة: مقطوعة

الأذان. قرعاء: النعام كلها قرع. وينظر: الحارث

بن حنزة ٦٢/٩ - ١٠ حيث يصور إياب الإبل

من المرعى مبكراً بسبب الجذب والبرد، فهي تسير

مسرعة مع مقاربة الخطو إلى حظائرها جاعلاً من

(رثك النعام) معادلاً موضوعياً لذلك.

<sup>(٢٢٧)</sup> المسيب بن علس: المفضليات ٨/١١. ذعلبة:

سريعة. حرج: جسمة طويلة على وجه الأرض.

هلواع: مستخفة كأنها تقزع من النشاط، والهلع:

الخفة. ويلاحظ ابن قتيبة في المعاني الكبير

١/٢٥٢ أن "الصكك: اصطكاك رجلي الناقة، وهو

عيب، ولم يكن ليصفها بعيب، ولكنه أراد بصكاء:

نعامة، فكانه قال: نعامة إذا استقبلتها".

وَكَأَنَّهَا بِلُوى مُلِيْحَةً خَاضِبٌ

شَقَاءُ نَقْنَقَةً تُبَارِي غَيْهَبَا<sup>(٢٢١)</sup>

إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتَ مَدْعُورَةً

مِن الرُّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقًا ذَمُولًا<sup>(٢٢٢)</sup>

رَمَتْكَ ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَن قُرْعِ ضَالَّةٍ

وَهُنَّ بِنَا حُوصٌ يُخَلْنَ نَعَائِمًا<sup>(٢٢٣)</sup>

وقد يجمع الشاعر بين النعام والقطا التي ترد

الماء عطشى لإبراز نجابة ناقته والمبالغة في

تصوير سرعتها:

فَبِتُّ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي

وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفْنَتِي وَفُتُوذُهَا

تَهَالِكُ مِنْهَا فِي الرَّخَاءِ تَهَالِكًا

تَهَالِكُ إِحْدَى الْجُونِ حَانَ وُزُودُهَا<sup>(٢٢٤)</sup>

فهو يعتمد في البيت الثاني على نمط من

التشبيه دون أداة لإعطاء مزيد من الإيحاء

بسرعة ناقته، وهي صورة تقترب إلى "دائرة

الصنعة اللفظية التي يحاول الشاعر من خلالها

أن يبرز قدره اللغوية، فيأتي بالمصدر والمفعول

<sup>(٢٢١)</sup> مرة بن همام: المفضليات ٤/٨٢. اللوى: ما

انعطف من الرمل. مليحة: موضع.

<sup>(٢٢٢)</sup> بشامة بن عمرو: المفضليات ٢٠/١٠. الرمذ:

النعام. الهيق: ذكر النعام. الذمول: المسرع.

<sup>(٢٢٣)</sup> المرقش الأصغر: المفضليات ٢/٥٦. الخوص:

الإبل الغائرة العيون من جهد السفر، ولعله أراد

الضمور أيضاً.

<sup>(٢٢٤)</sup> المثقب العبدى: المفضليات ١١/٢٨. التهالك:

شدة السير والاجتهاد فيه. الرخاء: الاسترخاء.

الجون: القطا.

على ثغنائها الصغيرة، وهي آثار مواصل ذراعي الناقة وعضديها من الباطن إذا ما بركت على الأرض، لأن نجائب الإبل تصغر ثغنائها، وكانت أفاحيص القطا الصغيرة التي تضع بيضها فيها معادلاً موضوعياً للتعبير عن ذلك، كقول الحادرة راسماً صورة بصرية:

فَتَرَى بَحِيثٌ تَوَكَّأَتْ ثَغْنَاتُهَا

أَثَرًا كَمُفْتَحِصِ الْقَطَا لِلْمَهْجَعِ<sup>(٢٢٨)</sup>

وقد يُضَافُ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ صُورَةٌ سَمْعِيَّةٌ لَمَّا يَصْدُرُ مِنْ نَابِ النَّاقَةِ مِنْ صَوْتٍ، وَكَانَ الْحَمَامُ مَعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِذَلِكَ أَيْضًا:

<sup>(٢٢٨)</sup> المفضليات ٣٠/٨. الثغنائات: مواصل الذراعين والعضدين من باطن، وهي التي تلي الأرض منها إذا بركت. مفتحص القطا: حيث يفحص في الأرض لبيضه. المهجع: موضع الهجوع. والشاعر يحقق بهذه الصورة غرضاً مزدوجاً، كما يرى النويهي: الشعر الجاهلي ٢٩١ - ٢٩٢ محقاً ومعبراً عن ذائقة شعرية سليمة، فهو من ناحية يرينا نجابة ناقته وعتق أصلها، لأننا نفهم من صغر الآثار التي تتركها على الأرض، لا صغر ثغنائها فحسب كما يقول الشرح القديم، بل خفتها ورشاقتها في بروكها على الأرض، فهي حين تبرك لا تتهاك على الأرض ولا "تنبت" عليها في ثقل واسترخاء غليظ كما تفعل الدابة البليدة التي "تقرش" على الأرض بل هي تبرك بركة خفيفة رشيقة ولا تزال في بروكها منتصبه لذكاء قلبها وحده نفسها شأن النوق النجيبة، ولهذا - لا لصغر ثغنائها فحسب - لا تترك على الأرض إلا آثاراً صغيرة لا تزيد على أفاحيص القطا، وما أضخم الفرق بين جسم الناقة وجسم القطاة. ومن ناحية يقنعنا الشاعر بحدة نظره ودقة تفرسه...".

كَأَنَّ مَوَاقِعَ الثَّغْنَاتِ مِنْهَا

مُعَرَّسٌ بِكَرَاتِ الْوَرْدِ جُونٍ

وَتَسْمَعُ لِلذُّبَابِ إِذَا تَعَنَّيَ

كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الْوُكُونِ<sup>(٢٢٩)</sup>

وعلى هذا النحو من الاهتمام كان العرب يعتنون بالخيال عناية كبرى، وانعكست هذه العناية على نعتها، فهم يفصلون في أوصافها التي كانت سرعة جريها وشدة انقضاضها على خصومهم في معاركهم أو رحلات صيدهم من أبرز هذه الأوصاف. وهنا يتوسل الشعراء أيضاً بالطير كالصقر والعقاب والحمام لتكون معادلاً موضوعياً للتعبير عن ذلك. يصور الحارث بن حلزة فرسه الطويلة التي كان يمتطيها موقعا الذعر في قطيع من الطباء الشبيهة باللالئ، فخيّل إليه أن فرسه صقر يلاحق الحمام:

فَكَأَنَّهِنَّ لَأَلِيٌّ وَكَأَنَّهُ

صَفْرٌ يَلُودُ حَمَامُهُ بِالْعَوْسَجِ

صَفْرٌ يَصِيدُ بِظُفْرِهِ وَجَنَاحِهِ

فَإِذَا أَصَابَ حَمَامَةً لَمْ تَذْرَجِ<sup>(٢٣٠)</sup>

وواضح أنه يصور الطباء باللالئ لبياضهن وحسنهن وسرعة فرارهن من الصقر، وقد انحدرت من سلكها المقطوع. وقد يحدد الشاعر نوعية معينة من الصقور كالنابزي القانص لأنه أضرى من غيره من البيزان ليكون معادلاً موضوعياً لذلك:

<sup>(٢٢٩)</sup> المثقب العبدى: المفضليات ٢٤/٧٦، ٢٩.

معرس: مكان التعريس وهو النزول آخر الليل.

الذباب ههنا: حد ناب الناقة إذا صرفت بأنيابها.

<sup>(٢٣٠)</sup> المفضليات ٥/٦٢ - ٦. العوسج: شجر.

فَلَوْ أَنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ أُذْرِكْتُ  
ولكنها تهفو بتمثال طائر  
خُدَارِيَّةٌ فَتُخَاءُ أَلْتَقِ رِيَشَهَا  
سحابة يوم ذي أهاضيبٍ ماطرٍ (٢٣٤)  
أما صورة الحمام الذي كان هدف صيد  
الصقر وملاحقته فيبرز في صورة أخرى حيث  
تتسابق جماعة الحمام لورود الماء، وذلك لإبراز  
سرعة الخيل التي تميل برؤوسها عند اشتداد  
عدوها وكأنها تنافس أسنة راكبيها بخدودها:  
يُبَارِينِ الْأَسِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ  
كما يتقارط الثمد الحمام (٢٣٥)  
ولقد كان للقطاة بوصفها معادلاً موضوعياً  
للدلالة عن السرعة والجماعة الكثيرة نصيب في  
تصوير الخيل المسرعة ليلاً، أو المتوجهة  
لساحة القتال، أو جماعة الفرسان على خيولهم  
التي يفاخر الشعراء بصددهم وتشتيت شملهم، ولا  
سيما جماعة القطا توافي الماء صباحاً:  
يَدْرَعَنَّ اللَّيْلَ يَهْوِينَنَّ بِنَا  
كهوي الكدر صبحن الشرع (٢٣٦)  
وهن يردن ورود القطا  
عُمانَ وَقَدْ سُدَّ مُرَائُهَا (٢٣٧)

مَتَى يُرْ مَرْكُوباً يُقَلُّ بَأُزْ قَانِصٍ  
وفي مشيه عند القياد تسائل (٢٣١)  
وكأننا كلما نغدو به  
نبتغي الصيد ببار منكر (٢٣٢)  
وعلى هذا النحو تأتي صورة العقاب تقصد  
صيدها وتتقض عليه لتصوير سرعة انقضاض  
خيولهم، كقول بشر بن أبي خازم:  
كَأَنِّي بَيْنَ خَافِيَتِي عُقَابٍ  
تُقَلِّبُنِي إِذَا ابْتَلَّ الْعِدَاؤُ (٢٣٣)  
وقول سلمة بن الخرشب واصفاً فرسه  
الكميت في طلب الصيد كطلب العقاب للأرنب:  
هُوِيَّ عُقَابٍ عَرْدَةً أَشَارَتْهَا  
بذي الضمران عكرشة دروم  
وقد يلجأ الشاعر إلى تفصيل العقاب قليلاً  
لإيحاء المزيد منشدة السرعة وبغية المبالغة في  
أن المشبه هو نفسه المشبه به، وذلك بحذف  
أداة التشبيه ووجه الشبه، مما يُسمى التشبيه  
البلوغ، كقول سلمة بن الخرشب أيضاً وهو  
ينسب الفضل في نجاته أحد خصومه من  
الفرسان لتمكنه من الفرار على ظهر فرسه  
الشبيه بالطائر، ولا سيما العقاب المغبرة اللينة  
الجنح التي أصابها مطر فهي تبادر مسرعة  
إلى وكراها:

(٢٣٤) المفضليات ٨/٥ - ٩. تهفو: تسرع. وينظر شرح

باقي المفردات في الحاشيتين ٤٩، ٥١.

(٢٣٥) بشر بن أبي خازم: المفضليات ٣٢/٩٧. يبارين:

أبي تباري الخيل أسنة راكبيها بخدودها. مصغيات:

مميلات رؤوسها إذا اشتد عدوها. الثمد: الماء

القليل. يتقارطه الحمام: يتسابق الحمام إليه.

(٢٣٦) سويد بن أبي كاهل: المفضليات ٤٠:٢٨. ينظر

شرح المفردات في الحاشية ١٢٢.

(٢٣١) المزرد بن ضرار: المفضليات ١٧/١٨.

(٢٣٢) المرار بن منقذ: المفضليات ٢٣/١٦. المنكر:

المنقض.

(٢٣٣) المفضليات ٤٥/٩٨. الخافية: إحدى الخوافي،

وهي الريش الصغار التي في جناح الطائر، ضد

القوادم.

## الخاتمة

تتاول البحث الطيور في مختارات المفضليات الشعرية النفيسة، وتوزع على ثلاثة محاور. حُصص المحور الأول لدلالات الطيور، والمحور الثاني لموضوعات الطيور ورموزها، والمحور الثالث لصور الطيور الفنية. وكان لا بدّ من مدخل يبين مفهوم الحيوان بوصف الطيور أحد مجالاته الدلالية الفرعية.

تتاول المحور الأول دلالات الطيور البيئية والبرية، وتوزع على أربع دوائر دلالية. احتوت الدائرة الدلالية الفرعية الأولى على الطيور البيئية الأليفة التي مثلتها سبع وحدات هي: الحمامة والدجاجة والديك والطيور والهديل والورقاء وساق حر، وجاءت وحدة الطير في المقدمة من حيث الشيوخ، لأنها دلّت أيضاً على الطير البري، وكان لهذه الوحدات ملمح دلالي عام هو الألفة ووجود الجناحين والريش. واحتوت الدائرة الدلالية الفرعية الثانية على الطيور الصغيرة التي مثلتها ست وحدات، هي: الجوني والحباري والعصفور والقطاة والكدي واليعقوب، وتصدّرت وحدة القطاة من حيث الشيوخ، وكان لهذه الوحدات ملمح دلالي عام هو الصغر. واحتوت الدائرة الدلالية الفرعية الثالثة على دائرتين فرعيتين صغيرتين، الأولى متعلقة بالطيور الجارحة المهابة من نوات المخالب، ومثلتها وحدات: الأجدال والصقر والعقاب والكاسر والخدارية والسفعاء والفتحاء والقظامي، وأما الثانية فهي متعلقة بالطيور الجارحة المكروهة من نوات الأظافر، ومثلتها

وقد يفخر الشاعر بشجاعته لصدّه هجوم جماعة الفرسان على خيولهم التي تثير الغبار، فيشتت شملهم، وهنا أيضاً لا يجد معادلاً موضوعياً لذلك سوى جماعة القطا تبتغي الماء:

وَوَارِدَةٍ كَأَنَّهَا عَصَبُ الْقَطَا  
تُثِيرُ عَجَاجاً بِالسَّنَابِكِ أَضْهَباً<sup>(٢٣٨)</sup>

وقد يقدم الشعراء صورة القطاة وهي هاربة من ملاحقة الصقور وانقضاضها عليها لتوفير مزيد من الحركة والسرعة في نعت خيلهم:

وَإِنْ رُدَّ مِنْ فَضْلِ الْعِنَانِ تَوَرَّدَتْ  
هَوِيَّ قَطَاةٌ أَتْبَعَتْهَا الْأَجَادِلُ<sup>(٢٣٩)</sup>

أما الطير بوصفه الطرف الثاني/ المشبه به الذي ورد في تصوير شعراء المفضليات، وكان الطرف الأول/ المشبه من عالم الجماد، فقد اقتصر على صورة وحيدة، حيث يصور رجل من بني عبد القيس سنان رمحه اللامع والحاد، فاختر منقار النسر ليكون معادلاً موضوعياً للتعبير عن ذلك:

تَرَكْتُ الرُّمَحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ  
كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومٌ نَسْرُ<sup>(٢٤٠)</sup>

<sup>(٢٣٧)</sup> حاجب بن حبيب: المفضليات ٧/١١٠. المران: الرماح، واحدها مرانة.

<sup>(٢٣٨)</sup> ربيعة بن مقروم: المفضليات ٨/١١٣.

<sup>(٢٣٩)</sup> المزرد بن ضرار: المفضليات ٣٣/١٧. توردت:

أسرعت. الأجدال: جمع أجدل، وهو الصقر.

<sup>(٢٤٠)</sup> المفضليات ٧/١٣. الصلا: وسط الظهر.

الخرطوم: أراد به منقار النسر.

الفخر ثقة بقوتهم وعزيمتهم وعدم تطيرهم. ولقد تم رصد ما سجلته هذه الوحدات من علاقة التقابل أو الترادف أو علاقة العموم والخصوص، وما كان منها مشتركاً لفظياً.

وتناول المحور الثاني دراسة موضوعات الطيور ورموزها، وجاءت هذه الموضوعات في قسم منها مقصودة لذاتها، وإن برزت على أنها وسيلة لتخلص وجيه من موضوع لآخر، كما في الانتقال من موضوع الناقة إلى النعام. وتمحورت هذه الموضوعات حول ما يلي:

١ - نعت الإبل من حيث السرعة ومقاربة الخطو والنجابة، ونعت الخيل من حيث سرعتها وشدة انقضاضها.

٢ - فخر الفرسان بسرعتهم سواء أكان في الانقضاض على خصومهم، والظفر بأعدائهم، وما يتميزون به من جرأة وحدة ذكاء وما يملكونه من أسلحة، أو في سياق تصوير نجاتهم وهربهم. ويضاف إلى ذلك الفخر بجرأتهم على قطع الفلوات والمجاهيل، وارتداد أماكن الكلاً البعيدة ووصف مشاهد الصيد، وما اقتنصوه في شبابهم من لذة معاقره الخمرة.

٣ - مقدمة القصيدة وما يرتبط بها من وصف الديار المهجورة والرحلة وطريقها.

٤ - النسب والتغزل بالمحبة وما يتصل به من ذكر الشيب والشباب.

٥ - رثاء الأحبة والبكاء عليهم، أو الحنين لبعدهم وفراقهم.

وحدات: الأنوق والبوم والصدى والضُوع والغراب والنسر والقشعم. وجاء عدد وحدات كل من هاتين الدائرتين الفرعيتين متقارباً، وكان لها ملامح دلالي عام هو المخالب والافتراس، وتميّزت بمعاني السرعة في الانقضاض على الخصم أو السرعة في الهرب. أما الدائرة الدلالية الفرعية الرابعة فاحتوت على النعام، ومثلتها ثماني عشرة وحدة توزعت على ثلاث دوائر صغيرة. الأولى دلّت على جماعة النعام عامة ومثلتها وحدة الشيطان، وكان لها ملامح دلالي عام هو العدد والكثرة. والثانية دلّت على جنس النعام ومراحل عمره، ومثلتها وحدات: النعام والحسك والصَّعل والهقل والحفان والحول والظلم، وكان لها ملامح دلالي عام هو الجنس والعمر. وأما الثالثة فدلت على هيئة النعام وشكله ولونه وصفته، ومثلتها وحدات: الخاضب والشقاء والغَيْهَب والرَّائحة والزَّيد والرَّعلة والسَّطعاء والنَّفْثقة والمُصلِّمة والقراء، وكان لها ملامح دلالي عام هو الهيئة والشكل واللون.

لقد جاءت الطيور في سياق نعت الإبل والخيل وتصوير الفرسان من حيث الكثرة والكرّ والفر، ووصف ما آلت إليه معاركهم وما خلفت من القتلى، وسياق تصوير المنازل المهجورة وما انتشر فيها من الطير والوحش، وتصوير الرحلة سواء أكانت للطعائن أم الأفراد، ووصف الطرقات واجتياز الأماكن المقفرة، إضافة إلى أماكن الصيد والكلاً البعيدة. كما أتت الطيور في سياق النسب وحديث الشيب والشباب وتصوير مجالس الخمرة، ورثاء الأحبة أو بيان أثر اللوعة على فراقهم والحنين إليهم، وسياق



٦ - الحديث عن بعض معتقدات العرب القدماء المتعلقة بالعيافة، أو ماكانوا يتخيلونه من تشكل طائر الهامة حتى يتم الأخذ بالتأثر.

ولقد حملت هذه الطيور رموزاً مختلفة يستقيم فهمها بالوقوف عند سياق القصيدة، أو الموضوع الذي كان يشغل بال الشاعر. فقد رمز النعام في مفضلية علقمة بن عبدة إلى الحياة السعيدة الماضية التي اقتنصها الشاعر في غفلة من عين الدهر، وفي مفضلية ثعلبة بن صعير إلى فكرة الأمومة استمراراً لما جسّدته الناقاة من دوام الحياة. ويضاف إلى ذلك ما حمله النعام من رمز للسرعة بوصفها صفة محمودة في الإبل والخيل وطلب النجاة لدى الصعاليك والفرسان عندما لا يجدون سبيلاً لذلك سوى الاعتماد على عذوهم الشديد، وما رمز إليه من تفرق وتشرذم، ومقاربة الخطو، وما أوحى به بيضه لإبراز جمالية المرأة من حيث اللون والملاحة والنعومة. وعلى هذا النحو رمز الصقر والعقاب إلى السرعة، والحمام إلى تغريد الصوت والشوق والحنين والبكاء، والطير إلى السرعة والعدوان، والقطة إلى السرعة والهداية والملاحة واللطافة، والحبارى إلى الخوف والجن، والقطامي إلى حدة النظر، والعصفور والديك إلى التكبير، والبوم إلى الغربة والوحشة، والغراب إلى السواد والشيب والشؤم.

أما المحور الثالث فقد تناول جانب التصوير الفني للطيور، الذي ينقل عواطف الشعراء إلى المتلقي، وكان التشبيه عماد الصورة البيانية التي شكّلها الطيور، سواء أكانت الطرف

الأول/ المشبه أم الطرف الثاني/ المشبه به. لقد كان ورود الطيور بوصفها المشبه قليلاً، واقتصر على النعام أولاً، وكاد أن يستأثر به، لولا ورود صورتين للقطا والبوم. لقد وصف الشعراء النعام متوسلين بعناصر من عالم الإنسان لإبراز اللون والضمور والمشية الثقيلة والصوت والحذر والتوجس والخوف ومشاعر الأمومة، ومن عالم الجماد لإظهار جوانب حسية مختلفة كالدقة والتقوس والصغر والضعف والخفة، ومن عالم الحيوان لإبراز السرعة والكثرة. وكان عالم الجماد رافداً لتصوير القطة وأفاحيصها التي تضع فيها بيضها فبدت مستديرة كالرقم والقوارير، وكذلك لتصوير البوم لإبراز صوته الذي وقع كصوت النواقيس في الفلاة الموحشة. ولقد تبيّن في البحث أن الطير الذي جاء قليلاً في عملية التصوير بوصفه المشبه، واقتصر على النعام والقطا والبوم، جاء بكثرة بوصفه المشبه به، واشتمل على أنواع الطير كافة، وهنا يتبوأ النعام الصدارة من حيث الشيوخ، ولعل السبب في ذلك أن الحديث عن الطير لم يكن مقصوداً لذاته في أغلب الأحيان. لقد ورد الطير بوصفه المشبه به في عملية التصوير ليكون معادلاً موضوعياً فنياً للدلالة على الرجل من حيث السرعة لدى الفارس سواء أكانت وقت الانقضاض على خصمه أو الفرار منه، والكثرة، ودوام الحزن، وحدة النظر، والصلع، والتفرق، وضعف الجسم، وعلى المرأة من حيث جمالية اللون وتقارب الخطو والملاحة. وكذلك كان الطير معادلاً موضوعياً

ملخص البحث بالانجليزية

Birds in in Al-Mufaddaliyyat

A research in its semantics, symbols, subjects and artistic portrayals

Dr. Mouhamed Fouaed Nanah

Assistant professor of Arabic literature at PAAET Basic Education College

This research aims to study a semantic field from the animal semantic fields and it includes domestic and wild birds, their symbols and artistic portrayals, thus it presents an aesthetic literary vision with semantic and objective dimension. Also, it is based on three chapters and a preface that outline the animal's concept and connotation.

The first chapter includes four sections: ١-domestic birds ٢-small birds ٣-wild birds ٤-Ostriches. Each section discusses semantic and linguistic views pointing out how each term was used semantically and objectively to express various meanings, their mentions in different contexts, what distinguish fundamental and specific indications and what characterizes denotations such as anatomical generalizing, synonyms, antonyms, phonetically common terms and semantic transformations.

This chapter is based on statistical method to know how common some connotations are to others whether it is in the same chapter or among subsequent chapters, to explain the connotations and clarify their compatibility to

فنياً للدلالة على الحيوان من حيث شدة الغدو والجري، وسرعة الانقضاض في الكر والفر، وتقارب الخطو، والدقة والصغر، وتغريد الصوت، والجمع والكثرة.

objectively and artistically with the aforementioned birds.

This research is based on poems from Al-Mufaddaliyyat book, which has an elite position among other books within the same category due to its linguistic richness, containing disused terms not found in dictionaries and the mention of various aspects of Arabic life in pre-Islamic and early Islamic era. Therefore, it was evident to use dictionaries, lexicology and literary criticism books as references in this research focusing on the ones were rhetoric is the matter of interest.

---

what was known about ancient Arabic life.

The second chapter discusses the contexts in which the subjects of birds and their symbols were mentioned. Also, it discusses their relation to the poem subjects such as horse and camel description, pride and its reasons, the introduction of the poem and what does it cover from describing abandoned homes, the journey and its path, , lamentation and nostalgia to the loved ones, some ancient Arabs Beliefs, and An-Nasib.

The third chapter is devoted to rhetoric's side especially similes and display whether it is compatible

فهرس المصادر والمراجع

- ١ \_ القرآن الكريم.
- ٢ \_ الأدب الجاهلي (قضايا وفنون ونصوص): لحسني عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع بالقاهرة، ٢٠٠١.
- ٣ \_ الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، تح إحسان عباس وزميليه، دار صادر ببيروت، ط ٣، ٢٠٠٨.
- ٤ \_ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: لنجيب محمد البهيتي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٥٠.
- ٥ \_ التحليل الدلالي (إجراءاته ومناهجه): لكريم زكي حسام الدين، دار غريب بالقاهرة، ٢٠٠٠.
- ٦ \_ التقفية في اللغة: لأبي بشر اليمان البندنجي، تح خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني ببغداد، ١٩٧٦.
- ٧ \_ التلخيص في معرفة أسماء الأثنياء: لأبي هلال العسكري، تح عزة حسن، دار طلاس بدمشق، ١٩٩٦.
- ٨ \_ توظيف القطا فنياً في نماذج من شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، لفاطمة تجور، بحث في: مجلة جامعة دمشق، مج ٣١، ع ١ \_ ٢، ٢٠١٥، ص ٤٥ - ٨٩.
- ٩ \_ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥.
- ١٠ \_ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع، ١٩٦٤.
- ١١ \_ الحمام في الشعر الجاهلي "دراسة ميثولوجية"، لخولة محمد سميح زيدان، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٦.
- ١٢ \_ حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين محمد بن موسى الدميري، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، دار البشائر بدمشق، ٢٠٠٥.
- ١٣ \_ الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٩٦٥.
- ١٤ \_ الحيوان في الشعر الجاهلي، لحسين جمعة، دار مؤسسة رسلان بدمشق، ط ٢، ٢٠١٠.
- ١٥ \_ دراسات في الشعر الجاهلي: ليوسف خليف، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٨١.
- ١٦ \_ ديوان المفضليات للمفضل الضبي: شرح أبي القاسم محمد الأنباري، عني بطبعه كارلوس يعقوب لائل، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت، ١٩٢٠.
- ١٧ \_ الرحلة في القصيدة الجاهلية، لوهب رومية، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط ٣، ١٩٨٢.
- ١٨ \_ الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: لمحمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، بلا تاريخ.

- ١٩ \_ شعرنا القديم والنقد الجديد، لوهب رومية، سلسلة عالم المعرفة، ع ٢٠٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ١٩٩٦.
- ٢٠ \_ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣.
- ٢١ \_ الصحاح في اللغة: للجوهري، تح أحمد عطار، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٥٦.
- ٢٢ \_ صورة الحيوان والطيور في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، لأحلام عبد الله سليمان صالح، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٢.
- ٢٣ \_ الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: لنصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى بعمّان، ط ٢، ١٩٨٢.
- ٢٤ \_ الصورة الفنية في المفضليات (أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية): لزيد بن محمد الجهني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، رقم الإصدار (٥٧)، السعودية ١٤٢٥ هـ.
- ٢٥ \_ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها): لعلي البطل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٨١.
- ٢٦ \_ الصورة الفنية معياراً نقدياً: لعبد الإله الصائغ، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٧.
- ٢٧ \_ صورة القطاة في الشعر الجاهلي والإسلامي، لسلامة عبد الله السويدي، بحث في: مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، العدد ١٣ / ٢٠٠١، ص ١٥١ - ٢١٣.
- ٢٨ \_ الصيد والطرير في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، لعباس مصطفى الصالحي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ببيروت، ١٩٨١.
- ٢٩ \_ الطبيعة في الشعر الجاهلي: لنوري حمودي القيسي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ط ١، ١٩٧٠.
- ٣٠ \_ الطير في الشعر الجاهلي: لعبد القادر الرباعي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، ط ١، ١٩٨٩.
- ٣١ \_ الغراب في الشعر الجاهلي، لعلي عبد العزيز علي أبو سنية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين، ٢٠١٢.
- ٣٢ \_ الغريب المصنف: لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مكتبة نزار مصطفى الباز بالسعودية، ١٩٩٧.
- ٣٣ \_ فقه اللغة وأسرار العربية: لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تح: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية ببيروت، ٢٠٠٠.
- ٣٤ \_ القاموس المحيط: للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٩٩١.
- ٣٥ \_ قراءة ثانية لشعرنا القديم: لمصطفى ناصف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، بلا تاريخ.

- ٣٦ \_ القصيدة الجاهلية في المفضليات، لمي خليف، مكتبة غريب بالقاهرة، ١٩٨٩.
- ٣٧ \_ كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ١٩٥٢.
- ٣٨ \_ لسان العرب: لابن منظور، دار صادر ببيروت، بلا تاريخ
- ٣٩ \_ مخاطبة الطير في الشعر العربي، حتى نهاية القرن الخامس الهجري، لحمد بن علي الهاشمي، أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ٢٠١٤.
- ٤٠ \_ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، لعبد الله الطيب، دار الآثار الإسلامية بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٩٨٩.
- ٤١ \_ المعاني الكبير في أبيات المعاني: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قراءة وضبط وشرح محمد نبيل طريقي، دار صادر ببيروت، ٢٠١١.
- ٤٢ \_ معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨١.
- ٤٣ \_ المفضليات: للمفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦.
- ٤٤ \_ مفهوم الصورة الشعرية قديماً: للأخضر عيكوس، بحث في: مجلة الآداب بجامعة قسنطينة، الجزائر، العدد ٢، ١٩٩٥.
- ٤٥ \_ النعام في شعر شعراء المفضليات والأصمعيات (دراسة موضوعية فنية): إعداد جبر محمد سليمان عواد، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١٢.
- ٤٦ \_ وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: لنوري حمودي القيسي، دار الإرشاد ببيروت، ١٩٧٠.

## فهرس المحتوى

الصفحة	الموضوع
٨٧٣	ملخص البحث
٨٧٣	مدخل إلى مفهوم الحيوان ودلالاته
٨٧٤	المحور الأول: دلالات الطيور
٨٨٨	المحور الثاني: موضوعات الطيور ورموزها
٩٠٦	المحور الثالث: صور الطيور الفنية
٩١٩	الخاتمة
٩٢٢	ملخص البحث بالإنكليزية
٩٢٤	فهرس المصادر والمراجع
٩٢٧	فهرس المحتوى